الإنسان ويوم الحساب

السفير

محمد أمين جبر



الإنســـــان
ويــوم
الحســـــاب



الإنســـــان ويــوم الحســـــاب

الســـفير

محمد أمين جبر


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقدمـــة

هذه الرسالة الموجزة عن الإنسان ويوم الحساب كانت أصلا فصلا من فصول كتاب(الإنسان والخلافة فى الأرض) ولكنى آثرت فصلها وإخراجها فى رسالة مستقلة خوفا من إطالة كتاب الإنسان والخلافة فى الأرض من جانب ولأهمية موضوعها من جانب آخر . إن حقيقة الحساب تعتبر أساسية فى الاعتقاد الدينى وقد تقررت هذه الحقيقة كنتيجة لازمة لحمل الإنسان للأمانة . فالإنسان كائن مكلف من حيث تمتعه بحرية الإرادة والاختيار النابعين من العقل المكتمل فيه . والإنسان المكلف هو الإنسان البالغ سن الرشد المتمتع بكامل قواه العقلية . ومن هنا فإن هناك ارتباطا بين النشاط العقلى وبين الحساب يوم القيامة . والنشاط العقلى مرتبط بالمخ فى الإنسان ونشاطه الطبيعى ، وكذلك الحساب يوم القيامة مرتبط بالمخ ونشاطه الطبيعى طوال فترة الحياة الدنيا وفى البرزخ حين ينفصل النشاط العقلى عن المخ والطاقة الممدة له لأداء وظيفته ، ويتصل هذا النشاط بمصدر للطاقة خارجى ما زلنا نجهله ولا نعلم عنه شيئا . وبعد البعث سوف يستمد النشاط العقلى أداءه لوظائفه من مصدر للطاقة غالبا ما يكون متصلا بالمخ ، كما كانت الحال فى الدنيا . المهم أن الإنسان سيتذكر يوم الحساب أعماله فى الدنيا حيث يستعيد شريط هذه الأعمال التى سجلها مخ كل إنسان على نفسه ، ومن ثم فإن الحساب سيكون ذاتيا

داخليا وليس خارجيا، أى أن كل إنسان سيحاسب نفسه بنفسه ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾.

أما عملية التذكر فهى استعراض كامل ودقيق لكل أفعال الإنسان الفرد التى سجلها عليه المخ باعتباره سجلا تحفظ فيه تفاصيل ودقائق الأعمال بالضبط، كما يحفظ الكمبيوتر ما يسجل بداخله بكل التفاصيل الدقائق. هذا الشريط المسجل من الإنسان على نفسه بواسطة المخ هو « الكتاب» الذى يلقاه منشورا ليطلع عليه أو يقرأه ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾. وكما أن الإنسان مسئول عن أعماله فقط فى الدنيا على أساس مبدأ ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾ فكذلك يكون الحساب عادلا أدق ما تكون العدالة، وبلا أية ظلم من الله إلى الإنسان، لأن الحساب سيكون ذاتيا ومبنيا على الكتاب المعروض المسجل على الإنسان من نفسه ذاتها بلا أى زيادة أو نقصان باعتباره صورة مطابقة تماما للأصل الدنيوى. وسيحاول الإنسان أن يفلت من نتائج أعماله فى الشر أو الضلال، ولكنه لن يستطيع لأن زمان الدنيا لا يعود مرة أخرى ليكرر الإنسان تجربته فى الحياة بعد تحقيق الاتعاظ يوم الحساب والرعب نتيجة أهوال وآلام العذاب بالنسبة للمستقبل المظلم أمام صاحبه ﴿يقول ياليتنى قدمت لحياتى﴾ وفكرة الحساب الذاتى هذه تؤكدها نتائج التجارب والبحوث العلمية الحديثة المتصلة بحالات الموت الإكلينكى التى يتعرض لها البعض لفترات تتفاوت من شخص لآخر، والتى يعودون بعدها للحياة الطبيعية مرة أخرى، وقد أوردنا تفاصيلها فى كتابنا « الإسراء والمعراج والعلم الحديث» فليرجع إليها من شاء. ومن هذا المنطلق يمكننا أن نفهم الآيات التى تتعلق بالحساب البالغ الدقة الذى يضع الموازين القسط يوم القيامة، موازين أشار إليها أو مثّل لها القرآن بالوزن الذرى

الذى يعتبر فى علوم دنيانا الآن أدق موازين القياس مطلقا ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾. إن الإنسان لا يمكنه أن يهرب من نفسه أو يستخفى منها، ونفسه هى الشاهد عليه ، وهو إن لم يحاسبها فى الدنيا فستحاسبه هى فى الآخرة.

وحسبى الله وما توفيقى إلا بالله.

محمد أمين جبر


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليــوم الآخــر

فكرة اليـوم الآخـرة فكرة أساسيـة فى كل الأديان السـمـاوية ، وهى قاعـدة أساسيـة من قـواعـد الاعتقـاد الإيمانى فى الدين الإسـلامى الخاتم المكتمل فى القرآن، خاتم الكتب السمـاوية . وقد قرر القرآن منذ نزل من حوالى أربعـمائة وألف سنة من هجرة خاتم المرسلين، أن ساعة حساب الناس قد اقتربت . . وأن الإنسان غافل عن حقيقة اقتراب الساعة التى يحاسب فيها الناس على أعمالهم ومعتقداتهم . . وأن الإنسان معرض عن التفكير فى أمر الساعة ذاتها نتيجة تأثيرات العوامل الدنيوية المؤثرة على الإنسان فى حياته الشخصية الفردية، وفى حياته الأسرية، وفى حياته الاجتماعية، وفى علاقة المجتمعات على مستوى الشعوب - بعضها البعض، وعلاقة الدول - على مستوى السلطات ، ببعضها البعض: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون﴾ الأنبياء ١ .

ويبـدو أن دور الشيطان الذى يمثل فكرة الشر فى الكون ، وبصفة خاصة بالنسبة للإنسان فى الأرض ، قد بلغ حدا من الاتساع والتشعب - نتيجة اتساع وتشعب الحياة الإنسانية ذاتها - حتى أخذ صورة لم يعرفها الإنسان من قبل إلا فى هذا القرن العشرين الميلادى، وبالذات فى الفترة الأخيرة من هذا القرن والتى شهدت عوامل كثيرة متشابكة، كان لها

تأثيرها على الإنسان وعلى تدعيم دور الشيطان فى مسئولية الشر بالنسبة لهذا الإنسان فى مستقره الأرضى المؤقت.

ومنذ خلق الله آدم الأول أبا البشر، كانت فكرة التأقيت، أو الوجود المؤقت للإنسان فى الأرض، هى الفكرة المتصلة بهذا الوجود الإنسانى. وفكرة التأقيت لوجود الإنسان كخليفة فى الأرض، فكرة تتصل بطبيعة التكوين الخلقى للإنسان ذاته، ذلك أن الإنسان كائن فان، يدركه الموت ولا يمكنه أن يتجاوزه إلى الخلود الذاتى. حتى الصفوة من الأنبياء والمرسلين الذين اختارهم الله لهداية الإنسان إلى الحقائق الأساسية فى الوجود الكونى وصلته - فى المادة والروح - بالإله الواحد، هم أيضا من البشر الذين يخضعون لسنة الموت أو قانون الموت الذى لايفلت من قبضته أى إنسان. وفكرة التأقيت للوجود الإنسانى فى الأرض تعنى أن حياة النوع الإنسانى سوف تنتهى بالنسبة لهذا النوع ككل على الأرض، سواء بفعل كارثة عامة من صنع الإله أو من صنع الإنسان أو نتيجة الصعق الناتج عما يصفه القرآن بأنه النفخ فى الصور، لتبدأ مرحلة أخرى هى مرحلة الحياة الآخرة. هذه الحياة الآخرة التى تتسم بالخلود، أى الوجود الدائم، يسبقها ما يسميه القرآن «الساعة» أى ساعة حساب الناس أو بتعبير مرادف «اليوم الآخر».

بعد تجربة آدم وزوجه فى «الجنة» - وكان إبليس طرفا أساسيا فيها - وهبوط الجميع إلى الأرض، كان مفهوما لهم أن حياتهم فى الأرض حياة مؤقتة، سواء بالنسبة للذات الآدمية الواحدة التى تنتهى حياتها بالموت، أو بالنسبة لذرية هذه الذات الآدمية، أى النوع الإنسانى ككل، بقيام الساعة: **﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾** البقرة/ ٣٦.

التجربة الآدمية :

فى الجنة، حيث سكنت نفس آدم قبل تغلب الغريزة على العقل، وهو العصيان، كان آدم وزوجه يملكان القدرة على إشباع حاجاتهما الأساسية من الغذاء بحرية مطلقة : ﴿وكلا منها رغدا حيث شئتما﴾ البقرة/ ٣٥. وكان هناك فعل منهى عنه بالنسبة لهما رمز له القرآن بالشجرة. وكان النهى منصبا على عدم الاقتراب من هذه الشجرة، بينما كان الأكل مباحا بإطلاق. ثم بدأ إبليس نشاطه تجاه آدم وزوجه : ﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ الأعراف/ ٢٠. والشجرة - فى فهمنا - هى اللفظ الدال على الاختلاط الجنسى والتكاثر الناتج عنه. فإبليس كان يعلم أن آدم ووزجه ليسا ملكين وليسا خالدين بذاتيهما، بل هما كائنان إنسانيان يدركهما الموت. وكان إبليس يعلم أن خلود آدم هو خلود النوع من طريق الذرية. والذرية لا تأتى إلا بالتزاوج الذى ينتج عنه الفروع للأصل الأول للشجرة، شجرة الخلد. ومع الخلود، ملك لا يبلى، وهو الملك الناتج عن استعمار الإنسان للأرض وإقامة العمران فيها بالتدريج.

علم الساعة:

الموت لصيق بالإنسان كفرد. وهو ينهى الوجود الإنسانى المؤقت فى صورة من صور الحياة التى نشاهدها وندركها ونحس بها ونشهد آثارها ونعيش تجربتها وواقعها كما نعرفهما. وقيام الساعة ينهى الوجود الإنسانى الكلى كنوع مستقل فى نفس صورة هذه الحياة. وكما أن الموت يدرك الإنسان فى أى مكان وفى أية حال كان عليها، لأن الزمان بعد أساسى من أبعاد عالمنا الطبيعى الذى نعيش فيه، فإن الساعة تدرك

الإنسان كنوع فى كل مكان وفى أية حال كان عليها لوجود نفس البعد الزمانى بالنسبة للنوع الإنسانى ككل. وكما لا يدرك الإنسان اللحظة الزمانية المحددة لانتهاء حياته فى هذا الشكل المشاهد المعروف، وهى اللحظة التى تقوم فيها الساعة. ولعل الحكمة فى ذلك الإخفاء لكل من نوعى انتهاء الحياة الإنسانية ، راجع إلى فكرة الخلافة الإنسانية ذاتها فى الأرض. هذه الفكرة تعنى استعمار الإنسان للأرض وتنمية قدراته المعرفية التى ينتج عنها الكشف والابتكار والإبداع، هى كلها عوامل تستلزم نوعا من الاستقرار فى الأرض حتى ولو كان مؤقتا، فإنه غير معروف مقدار زمانه على وجه التحديد، كذلك بالنسبة للموت وبالنسبة لهلاك النوع ككل. إن حركة العمران الناتجة عن نشاطى الإنسان الفكرى والجسدى لابد أن تقترن بعامل الاستقرار. ولكن عامل الاستقرار مقترن بعنصر التأقيت، ومن هنا كانت الحكمة فى إخفاء المقدار الزمانى لهذا التأقيت فى الوجود حتى يكتسب صفة الاستقرار اللازم لاستمرار ترقى الحياة الإنسانية فى المعرفة والسلوك المؤديين إلى اكتشاف الجديد وتنمية العمران بالتمدن والتحضر.

الإنسان والكون:

إن الله لم يخلق هذا الكون عبثا **﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين. لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾** الأنبياء/ ١٦-١٧. فالله سبحانه وتعالى موجود أزلى أبدى، ووجوده أولى بلا ابتداء وآخرى بلا انتهاء، أى أنه لا يفنى ولا يستحدث، كما أنه لا تقاس إليه الأبعاد المنفصلة. وقد اقتضى وجود الله ذاته وجود هذا الكون من منطلق إيجابية التأثيرات والفاعليات المستمرة وغير المحدودة

للأسماء الحسنى. يقول أستاذنا الإمام محمد ماضى أبو العزايم رضى الله عنه:

العين قد نظرت للعين فانفجرت   عين الحياة وروحى للحمى وصلت

فالكون بطاقاته الطليقة والمختزنة (أو جميع الشئون فى الظهور والبطون كما يقول الإمام الجليل الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه) هو إرادة تعبير الذات الإلهى عن نفسه لنفسه بتجليه الذاتى للأسماء الحسنى، وهو التجلى الذى نتج عنه الانفجار الكبير المعروف للعملاء اليوم كمظهر للأسماء وتأثيراتها أو فاعلياتها أو أفعالها الإيجابية المستمرة بغير حدود بالأمر المعبر عن الإرادة الإلهية الذاتية (كن فيكون) وبلا أبعاد منفصلة (زمان مكان).

ولذلك فالكون مظهر لظهور الأسماء الحسنى التى هى بدورها سبب وأساس وجود هذا الكون كما قلنا. لو لم يكن هذا الكون وجد لكان معنى ذلك تعطيل خصائص الأسماء الحسنى واتسامها بالسلبية، وهو أمر محال على الله سبحانه وتعالى ﴿كل يوم هو فى شأن﴾ ومن ثم نخلص إلى أن هذا الكون ضرورة حتمية من ضرورات وجود الله ذاته المتحلى بأسمائه الحسنى، الكمالى منها والجمالى والجلالى على ما يظهر فى الكون ذاته من جمال وكمال مدهشين وجلال محير مخيف. ولما كان الكون طاقى البنية فى الأصل الأول الذى نتج عن الانفجار الكبير فى بدائيته فإنه يكون مفتقرا إلى كائن عاقل يعقل وجود الكون ومعناه، يكون فى طبيعة خلقه جامعا للأسماء الحسنى كلها وليس جانبا منها. فإذا كان لكون يعكس أسماء جمال وجلال وكمال فإنه لا يعقلها ﴿فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ كذلك الملائكة والروح تعكس جانبا معينا فقط من الأسماء الحسنى بالضبط كعوالم الجن الطاقية الأصل..

من هنا اقتضى الأمر ظهور كائن عاقل يعكس أو يكون مرآة للأسماء كلها محققا بذلك مقتضى هذه الأسماء فى فاعلياتها وتأثيراتها الإيجابية المستمرة بلا نهاية فكان الإنسان ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ إن الإنسان كائن فريد ومتميز بالنفخة الربانية الروحية ﴿ونفخت فيه من روحى﴾ وهى سر النشاطين الروحى والعقلى فيه ، وهو يجمع بين خصائص (النور) وخصائص (النار) وخصائص (الطين) وهو ماء وتراب ، وهو الكائن الوحيد المتميز بالنفخة الروحية الربانية وخصائصها التى تتسع لتشمل آفاقا من النور مازال الإنسان لا يعلم كثيراً من خواصها الطاقية ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ . فالإنسان هو نواة البنية الخلقية الكونية ، جامع لخصائص الملك والملكوت ، أى الجسد والروح أو النور والطين أو المادة والطاقة . وبذلك استحق مقام الخلافة عن ربه فى الأرض التى هى مستقره المؤقت إلى حين قيام ساعة حساب الناس ، ويومها تبدل الأرض غير الأرض والسموات ويكون البصر حديدا يرى ما لا يراه الإنسان العادى فى العالم الفيزيقى الدنيوى بأبعاده المعروفة لنا ، ويبصر غير البصر العادى ويرى ويتعلم علوما جديدة من البيئة الجديدة الروحية ذات الأبعاد المختلفة تماما عن أبعادنا المعروفة فى العالم الفيزيقى وهو سر تبديل السموات والأرض التى يحياها بعد الموت سواء فى البرزخ أو يوم الحساب .

إن وجود الإنسان متصل بالوجود الكونى كله . ومتصل بكوكب الأرض بصفة خاصة . والجنة التى سكنها آدم ـ كما نميل إليه ـ كانت حالة فى المكان ، دون استقرار منذ البداية ، بينما كانت الأرض هى المكان الذى يتصل به عنصر التأقيت ، وإنما فى «استقرار » يمكن أن تبدأ وتستمر وتترقى فى إطاره حياة النوع الإنسانى . إنه بصلة الإنسان بالكون وبالأرض على وجه الخصوص ، تتضح الغاية من وجود ذلك الكائن

الإنساني ذاته. ولمعرفة الغاية ينبغي أن نعرف حقيقة جوهرية وأساسية هي حقيقة الألوهية التي هي مصدر هذا الوجود الكوني كله بما فيه من مخلوقات، وخاصة الإنسان، الخليفة في الأرض. والقرآن يخبرنا أن هناك مخلوقات أخرى تعيش مع الإنسان في الأرض، ولكنه لا يراها لعدم قدرة الحواس الإنسانية العادية على تجاوز إطارها في العالم الطبيعي، بينما هي ترى الإنسان : ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾ الأعراف/ ٢٧ . يقصد عفاريت الجن الذي يسكنون الأرض كما نسكنها، وتشملهم رسالة النبي الخاتم على النحو الذي بينه القرآن في سورة الجن.

إذا أخذنا في الاعتبار هذا المصدر الواجب الوجود لذاته [١] وهو الله، لعلمنا أن وراء هذا الكون، ووراء هذه المجرة التي فيها مجموعتنا الشمسية التي تعتبر الأرض أحد كواكبها ـ بتابعها القمر ـ ووراء وجود الحياة على هذا الأرض فقط دون سائر كواكب مجموعتنا الشمسية، ثم وراء ترقي الكائنات في مراتبها المختلفة من الجماد إلى النبات إلى الحيوان إلى الإنسان، وراء ذلك كله هدفا بالغ الأهمية هو من مقتضيات ذلك الوجود الإنساني ذاته. لماذا ؟ لأن الوجود الإنساني يعني وجود كائن من نوع فريد في قدراته العقلية المتصلة بهيكله المسوى. كائن يجمع بين المادة والطاقة، بين الجسد والروح. الجسد المادي، طيني أرضي، أو ترابي مائي. والطاقة روحية عقلية نابعة من سر النفخة الربانية الروحية. الأول هو التسوية الهيكلية، والثاني هو النفخ في هذا الهيكل المسوى ـ أي القابل للتلقي ـ من روح الله سبحانه وتعالى. وبهذا التركيب الثنائي المعجز

---

(١) واجب الوجود لذاته هو الذي لا يحتاج لعلة لوجوده، وإنما وجوده نابع من ذاته، فهو أزلي بلا ابتداء وأبدي بلا انتهاء.

تحـقـقت الـوصلة بين الإنسـان والإله . تحـقـقـت القـدرات والخـصـائص الإنسانية العقلية والروحية التى فى إمكانها التعرف على خالق الكون كله بما فيه ومن فيه ، والمعبر عنه بلفظ الجلالة « الله » فى اللغة العربية ويعبر عنه بألفاظ أخرى فى اللغات الأخرى غير العربية ، كلها تدل على نفس الإله المعبود الواجب الوجود لذاته .

من هنا جاءت فكرة العبادة ، بمفهومها الواسع الشامل الذى يدخل فى إطاره التفكر والتأمل والشهود والتجربة والسلوك والاعتقاد . . . إلخ . ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ .

على أن يكون مفـهـومـهـا أن العبادة مقصود بها نفع الإنسان ذاته فى الحياة الدنيا وفى الحياة الآخرة ، لأن الله غنى عن العالمين ، لا تنفعه طاعة ولا تضـره مـعـصـيـة ﴿مـا أريد منهم من رزق ومـا أريد أن يطعـمـون﴾ الذاريات/ ٥٧ .

عندما اكتملت التجربة الآدمية - آدم وزوجه وإبليس أطرافها - وهبط آدم إلى الأرض من الجنة ، كان من الضرورى ، من خلال حتمية التطور الوجودى ذاته الذى ينتهى إلى قيام الساعة فى يوم يحاسب فيه كل إنسان على سلوكه فى الأرض تجاه الإله تبارك وتعالى ، أن يبين الله حقيقة اليوم الآخر للإنسان فى الأرض على مر العصور من وجوده فيها . هذه الحقيقة ليست نابعة من فراغ ، ولكنها نابعة من « فكرة الألوهية » ذاتها كذات واجبة الوجود هو مصدر « الخلق » كله بما فيه الإنسان . ومن أخص خصائص الذات « أحد » لا شريك له ، لا يتسمى بالألوهية غيره ولا يماثله فى ذاته أحد غيره ، وهى الحقيقة التى يقول فيها القرآن (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ويقرر بإزائها أيضا ﴿ قل هو الله أحـد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد ﴾ الإخلاص .

إذن . . الإله . . الأحدية . . اليوم الآخر . . الإنسان . .

ولكن كيف يصل الخالق بالمخلوق؟

أرادت الذات الإلهية أن تكون هذه الصلة منطقية ومناسبة فى شكلها وجوهرها . إذن : فى الأرض بشر أم ملائكة ؟ لو كان فى الأرض ملائكة لكان المنطقى والمناسب أن يكون شكل الاتصال وجوهره ملائكى الطبيعة ليحصل التجانس والتناسب والاتصال الفكرى المطلوب . ولكن الأرض يسكنها البشر . فكان من المنطقى والمناسب أن يكون شكل الاتصال وجوهره بشرى الطبيعة ليحصل التجانس والتناسب والاتصال الفكر ى المطلوب .

وهكذا نقرر عنصر البشرية فى الاتصال . ولكن هذا العنصر البشرى الذى تقرر بإرادة الله أن يكون هو واسطة الاتصال يحمل عبء التلقى الروحى والتلقين والإبلاغ البشرى . وهذا ممكن لأن طبيعة البشر روحية جسدية . فالتلقى وهو يأتى من سماء الروح يتصل بالعنصر الروحى - أو الملكوتى - فى البشر والإبلاغ ، وهو يذهب إلى أرض الجسد العاقل يتصل بالعنصر الجسدى فى الظاهر - أو الملكى - فى البشر .

ومن هنا كان الأمر يقتضى نوعية خاصة من البشر تملك من الاستعداد النابع من الإعداد الإلهى عن طريق التكوينين العضوى والروحى معا - باعتبارهما متكاملين - بما يمكن هذا البشر من التلقى الروحى بالواسطة الروحية ثم إبلاغ ما يتلقاه إلى الناس، وهو فى الصورة البشرية المتكاملة . وأسلوب تلقى كلام الله يكون بإحدى وسائل ثلاث حددها القرآن فى النص التالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه عليٌّ حكيم﴾ الشورى/ ٥١ . والوسيط الروحى لجميع الأنبياء والرسل واحد، سماه القرآن جبريل، وهو أيضا

الروح الأمين أو الرسول الكريم، كما أن من أوصافه أنه شديد القوى، ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى، وأنه مطاع فى هذا الملأ وأمين.

وأما الفرد الذى يختاره الله لإبلاغ رسالته فلابد له من إعداد مسبق بحيث تكتمل عنده القدرات اللازمة لتلقى الوحى الإلهى حسب مستوى ذلك الوحى، من الروح الوسيط جبريل، بحيث يعى تمامًا ما يوحى إليه تمهيدًا لإبلاغه للناس. والإعداد الإلهى لمثل هذا الفرد يشمل عادة قدراته الجسدية والعقلية والروحية وهو ما تحقق على أكمل وجه للنبى الخاتمﷺ.

ولكن الرسل يتفاوتون فيما بينهم حسب طبيعة رسالاتهم، ويتفاوتون فى القدرات أو الطاقات الروحية ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض..﴾ البقر / ٢٥٣، وهم يحملون رسالات من السماء تتفاضل وتتفاوت فى الدرجة أيضا. وإنه وإن كانت الرسالات السماوية كلها تحمل نفس المعنى الأساسى لحقيقة الدين ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه...﴾ الشورى / ١٣ . إلا أن تطور حياة الإنسان الفكرية كانت تقتضى تطورا مماثلا فى الرسالات ذاتها. وهى التى سماها القرآن عند التجربة الآدمية الأولى «هدى» فى ﴿فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ البقرة/ ٣٨، بحيث تستجيب هذه الرسلات للاحتياجات الفعلية للمجتمعات التى تنزلت فيها وإليها. ولما كانت الرسالة القرآنية هى الرسالة الأخيرة الخاتمة لكل الرسالات، فقد كان من الضرورى أن تراعى هذه الكلمة الأخيرة، إطلاق طاقات العقل والروح [1] لتأخذ مسلكها

(١) إلى جانب تلبية احتياجات الجسد العضوى المشروعة لتقوم الشخصية على التوازن النفسى من خلال رعاية الجسد، ورعياة العقل، ورعاية القدرات الروحية بروح الوسطية.

الطبيعى فى تحصيل المعرفة والاستزادة منها والارتقاء بها بحيث يمكن للإنسان أن يحصل من خلالها إلى رؤية الكون والكائنات رؤية تتطابق فيها الحقيقة الكونية المخلوقة مع الحقيقة الكلامية البيانية الموحى بها من الله تبارك وتعالى إلى الإنسان فى شكل رسالة أو هدى يقيم العلاقة بين كلمات الله المخلوقة فى الكون وبين كلمات الله المقروءة فى بيان، كلاهما كتاب ينطق بالحق ويبرز مفهوم الألوهية فى إطار من المعرفة العلمية. كما يتبلور هذا المفهوم من خلال عامل «النظام» سواء كان نظام الخق الإنسانى ذاته أو نظام الخلق الكونى بما فيه من مخلوقات يحكمها نظام يقف على قمته الإنسان، ويحكمه هو أيضا نظام ربانى المصدر كسائر النظم التى تحم الكون وكائناته. وفكرة النظام تنبع من فكرة القوانين أو السنن التى يتصرف وفقها كال كائن والتى يريد القرآن أن يبرزها لنا فى تقريراته التالية: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ القمر / ٤٩.

﴿قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ طه / ٥٠.

﴿الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير﴾. الملك / ٣.

وهكذا كان عنصر الاختيار مع الختام عنصرا يحسم عملية التفاضل بين الرسل والرسالات. فكان الرسول الخاتم. وكانت الرسالة الخاتمة، المتمثلة فى القرآن العظيم، كلام الله الموحى به لفظا ومعنى والمتحدى به، بواسطة الروح الأمين نزل به على قلب الرسول الخاتم ليكون من المنذرين بلسان عربى مبين. ومن المنطلق القرآنى يكون حديثنا عن الساعة واقترابها.

يوم القيامة:

يتصل يوم القيامة، أو اليوم الآخر، بالحياة الدنيا اتصالا يدخل فيه العنصر الإنساني، أى الإنسان ككائن مخلوق. وهو إن كان يتصل أيضا بالجن وغير الجن من الكائنات التى قد تكون مسئولة أمام الله تبارك وتعالى إلا أننا سنقتصر على عنصر الكائن الإنسانى فقط، دون الجن أو غيره من الكائنات، إذا افترضنا وجودها، وذلك فيما يلى من حديثنا :

يوم القيامة هو اليوم الذى يسبق الحياة الآخرة. والحياة الآخرة هى الطور من الحياة الذى يعيشه الإنسان فى استمرارية عبر عنها القرآن بالخلود. ونمط الحياة فيها لا نتطرق إليه لأنه من الغيب الذى لم يخبرنا القرآن بتفاصيله على وجه اليقين ويصعب التكهن بفحواه أو مضمونه، وإن كان القرآن قد ضرب أمثلة للجنة والحياة فيها، وكذلك النار والعذاب فيها لتقريب الصورة إلى أذهاننا. ونحن نعرف من القرآن أن الخلود خلود ذاتى يومئذ للإنسان الذى لا يذوق الموت فى هذه الحياة الآخرة ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ الدخان/ ٥٦ . والحياة الآخرة حياة تتصل بالإنسان من حيث إنه الذى يعيشها. والإنسان الذى خلقه الله من عناصر طين الأرض، يعود إلى الأرض ميتا ثم يخرجه الله منها حيا مرة أخرى، وهو ما يعرف بعملية البعث. والبعث يكون من القبور أى من المكان والحالة التى يكون فيها وعليها الميت بعد موت. ذلك أن القبر له مفهوم فى الدين هو مفهوم الحياة البرزخية للإنسان. فى هذه الحياة البرزخية يوجد نموذج على نحو ما للحالة التى سوف يكون عليها الإنسان فى الحياة الآخرة بعد الحساب فى يوم القيامة. ذلك أن الإنسان الميت فى البرزخ يكون على قدر من الوعى الذى يصاحبه إحساس، إما بالعذاب والضيق والشقاء، وإما بالنعيم والوسعة والسعادة. الحالة

الأولى يقول فيها القرآن ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ السجدة / ٢١ . والحالة الثانية هى الحالة التى ربما وردت فى شأن الشهداء من المؤمنين ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾آل عمران/ ١٦٩-١٧٠ . فهو نمط من الحياة البرزخية فيه نعيم وفيه سعة وفيه سعادة. هذا وقد ورد عن رسول الله ﷺ فى الحديث ما معناه أن القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من النار، وذلك بما يحسه الميت فى قبره.

الإنسان والمستقبل الموصول بالله:

إن حجر الزاوية فى هذا الكوكب هو الإنسان، ذلك الكائن الذى يدور عليه أمر الدنيا والآخرة. الكائن الذى حمل الأمانة حين أبت السموات والأرض أن يحملنها، بمعنى أنه حمل المسئولية النابعة عن الإرادة الحرة والقدرة على الاختيار بين الخير والشر بما جمَّله الله به من خصائص جسدية وعقلية وروحية هى من نتاج النفخة الروحية الربانية التى جعلته متميزا عن سائر الكائنات فى الوجود. وكذا آتاه الله إمكانات استغلال البيئة الأرضية والمائية والفضائية التى تحيط به من أجل استعمار الأرض واستمرار كفاحه من خلال الفكر المتطور لبناء عمرانه ومدنيته وحضارته فى الأرض. إن الإنسان بهذه الإمكانات ـ التى نعرف الآن فى عصرنا الحاضر أبعادها الفذة المعجزة ـ كان ولا يزال هو الخليفة فى الأرض.

وكما يمكننا أن نفرق فى الكائنات بين الحياة والموت فإنه يمكننا بإحكام ودقة أكبر أن نفرق فى الكائنات بين الإدراك وعدم الإدراك ثم بين

المستويات المختلفة للإدراك فيما يتعلق بالكائنات التى تتمتع بهذه القدرة أو الصفة . وسنرى من استعراض سلم الكائنات أن الإنسان يتربع على قمة الدرجات بالنسبة لمستوى الإدراك حتى فوق مستوى الملائكة ـ وقد سجدوا لآدم ـ وذلك يرجع لإرادة الله وحده ومشيئته وحدها ، وهو الذى خلق الإنسان فى أحسن تقويم نفخ فيه النفخة الربانية الروحية التى جعلته يتربع كما قلنا على قمة درجات سلم الكائنات من حيث الإدراك فى مستواه العقلى ومستواه الروحى أو الفؤادى . ونعتقد أن الإنسان هو حجر الزاوية فى مجموعتنا الشمسية كلها ، على الأقل فى حدود ما يحيطنا الله به علما من خلال نشاطينا الفكرى والروحى . الخير متصل بالإنسان والشر متصل بالإنسان ، والحقيقة الإبليسية متصلة بالإنسان . وحقيقة الساعة متصلة بالإنسان . واليوم الآخر متصل بالإنسان . والثواب فيما نعرف من لذة الجنة متصل بالإنسان . والعذاب فيما نعرف من ألم النار متصل بالإنسان . والخلود فيهما متصل بالإنسان . وهذه كلها أمور تجمعها فكرة الدين لأن الدين يحقق ويقيم قانون الإسلام المتصل بكل مراتب الوجود وكل درجات الكائنات وكل أنواع المخلوقات فى الكون الطبيعى وفيما وراء الطبيعة . وبذلك يتصل الإسلام بالإنسان كما يتصل الدين بالإسلام . وتكون فكرة الدين فكرة وثيقة الصلة من لوازم طبيعة التركيب الكونى ذاته بما فيه الإنسان . لأن الوجود يتطور من طور إلى طور ، كما يتطور الإنسان من النطفة فى أطوار متعاقبة حتى يصير ـ خلقا آخر ـ هو ذلك الإنسان الذى يتطور أيضا مع عوامل فيسولوجيته وبيولوجيته فى اتصال بعنصر الزمن حيث يذوق الحياة ويذوق الموت ، وهما حالتان مخلوقتان بواسطة الله سبحانه وتعالى ، خالق كل شىء وأحسن الخالقين .

الإنسان منذ هبوط آدم الأول كانت الأرض هى موطن إقامته ،

استعمره الله فيها وجعلها مستقره المؤقت ﴿.... ولكم فى الأرض مستقر ومتـاع إلى حين﴾ البقرة/ ٣٦. والنظر إلى الوراء لا يفيد الإنسان إلا بمقدار ما يمنحه ذلك من خبرات وعظات ودروس. والنظر إلى الأمام هو الذى يفيد الإنسان، المستقبل هو دائما قبلة الرؤية الإنسانية، ولكن، إلى أى الأبعاد ينظر الإنسان؟ إلى المستقبل؟ إن النظرة المستقبلية المقترنة بواقع الإنسان المعيشى على الأرض واستمرار التخطيط من أجل ترقى مستواه وتدعيم بنيانيه المدنى والحضارى يجب أن تقترن بنظرة تتجاوز هذه الحياة التى يعيشها فى الأرض، إلى الحياة التى يعيشها فى البرزخ ثم الحياة التى يعيشها فى الآخرة، بعد مرحلة القيام والحساب، وليست هذه الرؤية خروجا عن الواقع، بل إن هذا التفكير هو عين التفكير الواقعى، لأن الإنسان ليس خالدا فى معيشته فى الحياة الدنيا، بل هو كائن فان يدركه الموت، ومن ثم يجب أن يتذكر دائما حقيقة الموت هذه، وهى حقيقة واقعة، النظر إليها يعتبر من ثم نظرا واقعيا، تلك الحقيقة التى تجعل من الضرورى على الإنسان أن يربط تخطيطه من أجل البقاء والعمران فى الدنيا، بالتخطيط من أجل البقاء والعمران فى الآخرة؛ لماذا؟ لأن الإنسان يموت.

وفكرة الحياة الآخرة فكرة أساسية من مقومات الإيمان وشروطه. وقلنا إنه قبل أن يستقر الإنسان على نمط معين من الحياة الآخرة، سواء بالعذاب أو النعيم، فإنه يمر بيوم القيامة أو ما يسميه القرآن الساعة أو الحساب، وهو الموقف الذى يعقب البعث من القبور ﴿وأن الله يبعث من فى القبور﴾ الحج/ ٧. وربما أمكن للإنسان أن يعرف مستقبله فى الحياة الآخرة بمجرد انتقاله من الحياة الدنيا بالموت إلى الحياة البرزخية. ذلك أن القبر الذى يحتوى روح الإنسان بعد تحلل جسده هو كما قلنا سالفا فيما ورد عن النبى: إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من النار. ويحدثنا

الإمام البخارى فى صحيحه أن النبى ﷺ مر على شهداء بدر فخاطبهم ملقيا عليهم السلام، وإنه ﷺ أجاب الذين كانوا معه عندما سألوه هل يسمع الموتى سلامهم، بأنهم يسمعون، وبأن الأحياء ما هم بأسمع من أولئك الذين ماتوا وأقبروا، ولكنهم لا يستطيعون الإجابة، وهذا بسبب بسيط وهو أن الأرواح لا تتصل بالأجساد فى التعبير وإبلاغ المفهوم الذى تريد إبلاغه، ولكن تتصل بما يشاكلها من أرواح. كما يحدثنا الإمام البخارى فى صحيحه أيضا عن ذلك المكان الذى مر عليه النبى ﷺ وقال عنده: إن الرجل الميت المدفون يعذب فى قبره ووضع على مكان دفنه جذعا من نخلة لعله يخفف عنه العذاب إلى أن ييبس الجذع. ونعلم من صحيحى البخارى ومسلم أيضا أن النبى ﷺ كان يتعوذ من عذاب القبر. والحياة البرزخية هى حياة روحية صرفة، لكن فيها تذوقًا للذة أو النعيم وللألم أو العذاب.

المسألة ليست هزلا بالنسبة للإنسان وعلاقته بالله تبارك وتعالى، بل فيها الجدية كل الجدية ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ المؤمنون/ ١٥٥ . وحتى القرآن الذى حمل - ضمن ما حمل - هذه المعانى هو قول فصل وما هو بالهزل. والإنسان جزء من هذا الكون العظيم ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾ الأنبياء/ ١٦- ١٧ .

حياة الإنسان فى الأرض ذات أهمية خاصة. فالفترة التى يعيشها كل فرد من الإنسانية فى حياته الدنيا تكتسب أهميتها من كونها الأساس الذى سيكون عليه الموقف الفردى لكل إنسان ساعة الحساب يوم القيامة ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ الإسراء ١٣-١٤ . فمن خلال

حقيقة تسجيل كل إنسان على نفسه أعماله الدنيوية التى تظهر صورتها التسجيلية أو شريطها التسجيلى يوم القيامة فإن الإنسان يردد ما يقرره القرآن ﴿ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاه ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ الكهف/ ٤٩ .

نعود بعد ذلك كله إلى الإنسان الذي أراد الله له أن يحيا حياته الدنيوية، وأن يموت فينتهى طور هذه الحياة الدنيوية، ثم يعيش حياته البرزخية ثم تنتهى هذه الحياة البرزخية بالبعث ليحيا حياته الآخرة المستمرة يومذاك، وهى حياة خالدة وليست مؤقتة كالحياة الدنيوية أو البرزخية. إن هذا الإنسان سيلاقى مصيره شاء ذلك أو لما يشأ. آمن بذلك أو لم يؤمن، استعد لذلك أو لم يستعد. ومن هنا تظهر أو تتضح أهمية التفكر فى يوم القيامة واستمرار تذكر هذا اليوم الذى سيواجه حتما كل إنسان ولد وعاش ومات فى هذه الأرض فى الحياة الدنيا.

هذه كانت مهمة الرسل الكرام بالنسبة للإنسان فى الأرض، وهذه كانت مهمة الرسول الخاتم بالنسبة للناس أجمعين فى الأرض منذ أن بعث هذا الرسول وحتى تنتهى حياة الإنسان على الأرض ويبعث الله من فى القبور. من هذا المنطلق يمكننا أن نفهم حرص الرسل على المرسل إليهم فى أن يتبع الآخيرون ما جاء به الأولون وما كانوا يدعون إليه. إن النظر إلى الأمام هو سبيل التقدم الموصول بكلام الله. ذلك أن الاتصال بكلام الله هو اتصال بالله، والاتصال بالله هو «الضمان» للعيش فى نعيم وسعادة فى الحياة الآخرة، فضلا عن الحياة الدنيا. ومن هذا المنطلق يمكننا أن نفهم أبعاد صفات الرحمة والرأفة التى كان يحملها الرسول الخاتم ويوجهها نحو المؤمنين، ونحو البشرية جمعاء ﴿وما أرسلناك إلا رحمة

للعــالمين﴾ لقد كان هـذا الرسول يدعـو الناس كـافـة إلى عبـادة الله وحـده والإيمان بكتبـه ورسله والإيمان بالرسـول الخـاتم والكتـاب الخـاتم، وذكـر القرآن - على سبيل المثال - ما كـان يجيش فى نفس هذا الرسول الخاتم تجاه البشرية حين تنكر رسالته وتنكر القرآن الذى نزل عليه، وهو يعـرف صلوات الله وسلامه عليه المصير الذى ينتظر هذه البشرية يوم القيامة، وكذلك وهو يعلم حتمية مواجهة هذا المصير ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهـذا الحـديث أسفـا﴾ الكهف/ ٦ . والرسـول جـاء شاهدا ومبشرا ونذيرا فهو البشير وهو النذير، البشير بالسعادة والنعيم اللذين سـماهـما القـرآن بالجنة ووصف حـالاتهـا ومسـتوياتهـا فى أمـثلة أوردها فى نصوصه. . . والنذير بالشقاء والعذاب اللذين سماهما القرآن النار أو الجحيم ووصف حالاتها ومستوياتها فيما أورده من نصوص من خلال آياته.

وسنبدأ بالحديث عن مصير الإنسان النهائى الذى سوف يعيشه فيما نعرف من الحياة الآخرة فيما يعرف «بالجنة والنار» وهما نمطا الحياة التى سوف يحياها كل فرد فى استمرارية متصل أمرها بمشيئة الله تعالى وحده الذى هو وحـده - يوم القيـامة أو يوم الدين - ملك ذلك اليوم أو مـالك ذلك اليوم ﴿مالك يوم الدين﴾ وفى قراءة أخرى ﴿ملك يوم الدين﴾.

الجنــــة:

الجنة حالة يعيشها الإنسان فى مكان محدد من كون الله الفسيح، وهى خـاصة بأفراد من النوع الإنسـانى بلغت نفوسـهم فى الحياة الدنيـا درجة عالية من السمو الناتج عن الصفاء والأخلاق العالية الموصولة بالله وكـتبـه، تكون فيـه النفس فى المستوى الذى يصـفه القـرآن بالاطمـئنان

﴿يأيتـها النفس المطمـئنة. ارجعى إلى ربك راضـية مـرضية. فـادخلى فى عبـادى وادخلى جنتى﴾ الفجر/ ٢٧-٢٩ . ونذكر فى هذا المجال أيضا ما ثبت فى المأثور عن النبى وصحابته عندما قال الرسول ﷺ للصـحـابة الجـالسين مـعـه إنه يدخل عليـهـم الآن رجل من أهل الجنة، والذى اتضح بعد الاتصـال به عن قرب - غـالبا من جانب عبدالله بن عـمـر - أنه كـان يتميز بخاصية النفس الصافية المطمئنة فى مستواها الذى يتضح من قول ذلك الرجل عن نفسـه إنه كـان يبـيت الليل، وليس فى نفـسـه شىء أى ضغينة أو سوء لأحد من الناس. ومن هنا ندرك أهمية تركيز الدين على صـفـاء نفس الإنسـان وتحليلهـا بالأخـلاق الفـاضلة بما يضـفى عليـهـا الاطمـئنان والطمـأنينة والسكون الذي هو الصـفة الأسـاسيـة لأهل الجنة الآخـروية، وهى الصـفة التى يبـينهـا القرآن فى تقريره ﴿ونزعـنا مـــا فى صدورهم من غل إخوانا على سـرر متقابلين﴾ الحجر ٤٧ . ذلك أن الغل أو الضغينة أو الحقد أو الحسد أو الكبر أو النفاق وبصفة عامة إضمار النفس بالشـر والسـوء هى مـداخل مـا يسـمـيـه القـرآن «الشـيطان» إلى النفس الإنسانية. فكل نفس لها شيطانها وهو لهـا قرين ﴿شـيـاطين الجن والإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخـرف القول غرورا﴾ الأنعـام ١١٢ . لهذا كما قلنا ركز الدين على النفس الإنسانية يدعو إلى تزكيتها ويطهرها ليسمو كل إنسان إلى الآفاق العليا لأخلاقيات الدين وقيمه، وقد جمع الرسول ﷺ هذه المعانى جميعا فى كلمات معدودة بالغة العمق فى دلالتها على هذا المعنى المقصود فيما روى أنه حدث به صلى الله عليه وسلم فى قوله: «إنما بعـثت لأتمـم مكارم الأخـلاق» وكـان سلوكـه فى الحـيـاة الدنيـا هو السلوك الأخلاقى فى قمته حتى وصفه الله سبحانه وتعالى فى القرآن بما نصـه ﴿وإنك لعـلى خلق عـظيم﴾ ومن هنا كـان سـر الاقتداء بالرسول ﷺ، فهو سراج للاقتداء ونور للاهتداء فيما كان يدعو إليه ويمثله فى

واقع حياته فى عصره من عقيدة وعبادة وأخلاق وتشريعات للتعامل جمعها القرآن، وكان هو ﷺ على شاكلتها فى القرآن فى الفكر والسلوك حتى إن السيدة عائشة رضى الله عنها وصفت بأنه «كان خلقه القرآن» ولعل هذه المعانى جميعا هي التى كان يركز عليها أولئك النفر من المؤمنين الذين اهتموا أساسا فى المقام الأول بجوهر الدين وروح القرآن، ثم بعد ذلك بشريعته ومنهاجه على طول العصور التى مر بها الإسلام فى الأرض، وهم الذين أطلق عليهم تعبير «الصوفية» أو «المتصوفة» وهو التعبير الذى اختار له أستاذنا الإمام محمد ماضى أبو العزائم المعنى الذى يقول: إن الصوفى هو من صفا حاله وصفت نفسه فصافاه الله فسمى صوفيا، وهو فعل ماض مبنى للمجهول، لقد كان صفاء النفس وتربيتها هما الأساس الذى ركز عليه هؤلاء طريقتهم فى التجربة الدينية فى الحياة اليومية. ذلك أن الدين واضح كل الوضوح فى أن النفس الإنسانية تحوى مداخل الشيطا بما ينزع إليه من أعمال السوء والشر والإضرار بالغير ﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى﴾ يوسف/ ٥٣. والشيطان ذو صلة عميقة بالنفس الإنسانية، والنفس الإنسانية ذات صلة بالمقومات الأساسية للهيكل الإنسانى كله بجسده وروحه. والشيطان عن طريق هذا الهيكل الإنسانى المتكامل هو المدخل إلى النار، بينما المدخل إلى الجنة يكمن فى إبعاد الشيطان عن النفس أو إبعاد النفس عن الشيطان بحيث يرتقى الإنسان فى درجات العبودية لله، بحيث لا يكون للشيطان أى سلطان على العبد الموصول بالله وبأخلاق رسول الله ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ الحجر ٤٢. هذا الطراز من العبودية قوامه فرد أسلم وجهه لله وأخلص ظاهره وباطنه لله، تخلق بأخلاق قرآن الله فأخلصه الله لذاته فكان خالصا ومخلصا. ﴿قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين .إلا عبادك منهم المخلصين﴾ ص/ ٨٢-٨٣. ونحن نعلم أن النبى ﷺ قد

أعانه الله على نفسه حتى أسلم له قرينه . ونكتفى بهذا القدر من الحديث عن الشيطان لأن موضوع حديثنا هو عن الجنة .

الجنة مراتب ومستويات يعيش فيها الإنسان بحسب مرتبته الروحية الأخلاقية ، ومستواه الروحى والأخلاقى الذى كان عليه فى الدنيا ، فقد ذكر القرآن لفظ (جنتان) فى تقريره ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ وذكر أيضا ﴿ومن دونهما جنتان﴾ وذلك فى سورة الرحمن ، وقد ذكر بالنسبة للجنتين الأولين أنهما ﴿ذواتا أفنان﴾ أى ذواتا أغصان متفرعة ، وثمار متنوعة يمتد من خلالها الظل . كما وصف هاتين الجنتين نفسيهما فى سورة الرحمن بأنهما فيهما عينان تجريان ، وفيمها من كل فاكهة زوجان ، وأن جنى الجنتين دان ، وأن فيهما قاصرات الطرف لم يطمثهن من قبل إنس ولا جان ، وزاد فى وصف هؤلاء النساء اللائى فى هاتين الجنتين بأنهن كأنهن الياقوت والمرجان ، وأن الناس الذين يعيشون فى هاتين الجنتين متكئون على فرش بطائنها من إستبرق . ثم تحدث القرآن عن الجنتين الأخريين ، وهما أقل فى المستوى فى المرتبة من الأولين ﴿ومن دونهما جنتان﴾ فوصفهما بأنهما مدهامتان أى شديدتا الخضرة ، وأن فيهما عينين نضاختين ، وفيهما فاكهة ونخل ورمان وأن فيهما خيرات حسانا ، ثم زاد فى وصف النساء فى هاتين الجنتين بأنهن حور مقصورات فى الخيام لم يطمثهن من قبل إنس ولا جان ، وأن أهل هاتين الجنتين متكئون على رفرف خضر وعبقرى حسان . . والمقصود من ذلك كله هو إعطاء صورة يستطيع أن يفهمها الإنسان يميل ويتطلع وينجذب إليها بطبعه الفطرى فى حياة فيها عطاء من الله تبارك وتعالى يعيش فيها الإنسان فى نعيم ولذة دون أن يكدح أو يكد فى العمل أو يتخاصم ويتنازع مع الآخرين الذين يعيشون معه نفس مستوى الحياة الذى يكون فيه العطاء للجميع لا حرمان معه لأحد ولا تفاوت هناك بين أحد وغيره ،

فالعطاء هناك يزيد عن الاحتياج، والأخذ فيهما مسموح به ومتاح بغير حدود بحسب مستوى الجنة التى يعيش فيها الإنسان من خلال مستواه الذى يؤهله للحياة فى جنة من الجنات .

كذلك استعمل القرآن لفظ - جنات - والصفة العامة لهذه الجنات أنها :

١ - تجرى من تحتها الأنهار .

٢ - أن فيها نعيما .

٣ - أن فيها خلودا للإنسان .

٤ - أن للإنسان فيها ما يشاء حسب حاجته وبما يزيد عن هذه الحاجات .

٥ - أن فيها من اللباس والزينة ما يعتبره الإنسان أنه نفيس .

٦ - أن فيها مساكن طيبة .

٧ - أن الحياة فيها حياة كريمة يكرم فيها الإنسان بكل أنواع الخيرات .

٨ - اختار القرآن لهذه الجنات اسمين هما : جنات عدن وجنات الفردوس .

٩ - أن عرضها كعرض السموات والأرض .

كذلك استعمل القرآن لفظ الجنة فى استعمالات عديدة قصد منها أحيانا أماكن فى الأرض أثناء الحياة الدنيا كما فى سورة البقرة ﴿كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين....... أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾ الآيتان ٢٦٥ ، ٢٦٦ من سورة البقرة . ونفس المعنى ورد فى الآية ٩١ من سورة الإسراء والآية ٨ من سورة الفرقان

والآية ١٧ من سورة القلم والآيات ٣٥، ٣٩، ٤٠ من سورة الكهف. والجنة فى اللغة هى البستان وفيه الشجر الكثير يستر من بداخله عن من بخارجه. وأول من استلفت النظر هو ذلك النعيم الحسى الذى وصف به القرآن الجنة ومن يحيا فيها، إلى جانب المستوى النفسى الرفيع الذى يكون عليه أهل الجنة. ثم تحدث القرآن عن أمر بالغ الأهمية بالنسبة للجنة حينما ذكر فى عديد من آياته مبينا ماهية حقيقة الجنة عن طريق ضرب الأمثلة التى يمكن للإنسان فى الأرض أن يتفهمها، فذكر على سبيل المثال فى سورة محمد فى الآية ١٥ **﴿مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾**.

والأمثال فى القرآن تضرب للتذكير والتدبر، ونعتقد - والله أعلم - أن المقصود هو بيان طبيعة النعيم الذى يحيا فيه أهل الجنة، فهو نعيم قوامه بالنسبة للجسد، اللذة الجسدية، وبالنسبة للروح اللذة الروحية والنفسية، والناس حسب مستوياتهم تتفاوت مستويات جناتهم، وقد أوضح القرآن ذلك فى سورة الواقعة، حينما ذكر مراتب ثلاثا للناس، أهل اليمين وأهل الشمال وأهل السبق. فأما السابقون فهم أهل الدرجات العليا فى الجنة، وأما أصحاب اليمين فهم أهل الجنة، وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار. **﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة. وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة. والسابقون السابقون. أولئك المقربون﴾** الواقعة ٨-١١.

هاتان مرتبتان للجنة ولأهل الجنة: المرتبة الأولى هى مرتبة السابقين السابقين، وأولئك هم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، والثلة هى الجماعات الكثيرة، والمقصود جماعات الأمم السالفة الذين آمنوا برسالات الأنبياء السابقين على النبى الخاتم، وقليل من الآخرين أى جماعة أقل من الثلة السابقة، وهم الجماعة الذين يدخلون الجنة من أمة

محمد ﷺ، وهؤلاء السابقون يعيشون فى نعيم يذوقون فيه اللذة الجسدية واللذة الروحية بحيث تكون اللذة الروحية بالنسبة لهم أسمى وأعلى من اللذة الجسدية، لأنهم فى مقام يكونون فيه مقتربين من الله تبارك وتعالى، ولذة القرب من الله تبارك وتعالى هى لذة روحية يكون فيها الاستمتاع نابعا من رضى الله عن الفرد المقرب فى مقام القرب من الله ﴿أولئك المقربون﴾ ثم بعد ذلك وصف بعض مظاهر نمط حياتهم الجسدية التى يذوقون فيها النعيم واللذة بعبارات ميسرة يستطيع أن يفهما الإنسان من خلال ما هو مشهود له فى الحياة الدنيا حتى يستطيع الإنسان أن يتمثل ويتصور بعض الشيء من خلال الواقع المحسوس له فى الدنيا بعضا من حالات النعيم التى سيعيشها فى الجنة والتى فيها فى حقيقة الأمر أمور وحالات من النعيم لم يجربها الإنسان من قبل، وهو المعنى الذى قصد إليه الرسول ﷺ حين قال إن فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أى على عقل بشر. أما المثل المضروب لهؤلاء المقربين وهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين بالنسبة للنعيم فى مستواه الحسى فيقرر بشأنه القرآن فى سورة الواقعة أيضا ما نصه ﴿على سرر موضونة. متكئين عليها متقابلين. يطوف عليهم ولدان مخلدون. بأكواب وأباريق وكأس من معين. لا يصدعون عنها ولا ينزفون. وفاكهة مما يتخيرون. ولحم طير مما يشتهون. وحور عين. كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ الواقعة ١٥-٢٣. هذا الصنف من الناس الذى يعيش فى مجتمع الجنة هو على أعلى مستوى من الصفاء النفسى والحسن الأخلاقى يعيش فى نعيم دائم ولذة دائمة للجسد والروح معا فى مستوى من الجنة يصفه القرآن فى قوله ﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما. إلا قيل سلاما سلاما﴾ الواقعة ٢٥-٢٦. فالمجتمع يومئذ مجتمع يسوده السلام ويحيطه الله بالسلام وهو السلام سبحانه وتعالى، وهو مجتمع يعيش على هذا النمط

من الحياة نتيجة أعماله الصالحة فى الحياة الدنيا وتحليه بصفات وأخلاق عالية متميزة فى الحياة الدنيا، واستقام بها ومعها سلوكه فى هذه الحياة.
ثم تحدث القرآن فى المرتبة الثانية من أهل الجنة، وهم أصحاب اليمين الذين يصف القرآن النعيم الحسى فيما أورده من آيات فى سورة الواقعة ﴿فى سدر مخضود. وطلح منضود. وظل ممدود. وماء مسكوب. وفاكهة كثيرة. لا مقطوعة ولا ممنوعة. وفرش مرفوعة. إنا أنشأناهن إنشاء. فجعلناهن أبكارا. عربا أترابا﴾ الواقعة٢٨-٣٧. هذا النعيم الحسى الموصوف للإنسان فى الحياة الدنيا والخاص بأصحاب اليمين الذين يزيد عددهم عن عدد المقربين ﴿ثلة من الأولين. وثلة من الآخرين﴾ ويقول فيهم القرآن فى ختام سورة الواقعة ﴿فأما إن كان من المقربين. فروح وريحان وجنة نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين. فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ والمقصود بسلام لك هو اطمئنان قلب الرسول ﷺ بما يعيشه أهل اليمين من نعيم فى الجنة حتى ولو كانت مرتبته أقل من مرتبة المقربين.

﴿تلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون﴾

إن الحياة التى يحيا فيها الإنسان المؤمن فى الجنة، والمكانة التى يكون فيها ليستا وليدتى الصدفة. فالصدفة ليس لها محل فى هذا الكون. وليس لها محل بالنسبة لوجود الإنسان فى الأرض أو خلقه الأول ولا بالنسبة لحياته المستمرة مع تعاقب الأحداث فى الأرض عبر الأجيال الإنسانية المختلفة. وإنما للكون غاية، ولوجود الإنسان غاية، ولحياته المستمرة مع تعاقب الأحداث عبر الأجيال الإنسانية المختلفة غاية. هذه الغاية هى التعرف على الإله والالتزام بطاعته فيما يأمر به أو ينهى عنه أو يدعو إليه من خلال كل صور الهدى الآتى بالإنسان فى الأرض بالوحى من الله سبحانه وتعالى. وهذه الطاعة هى معنى العبادة التى تتخذ صورا

وأشكالا عديدة يتفاوت تأثيرها الروحي والأخلاقى على الإنسان من فرد إلى فرد. والعبادة بأشكالها ومضامينها العديدة تدخل فى إطار ما يسميه القرآن بالعمل الصالح الذى يقترن بالإيمان الكامل. والإيمان الكامل والعمل الصالح هما منهاج فكر وعقيدة نظرا إلى جانب كونهما شريعة حكم وسلوكا وتطبيقا. ومهمة الإنسان فى الأرض هى أن يلتزم بالاثنين معا ومكوناتهما، عقيدة وعبادة وأخلاق ونظام تشريعى كامل دائم التطور. فالعملية إذن عملية شاقة يقترن بها جهاز شاق تدخل فيه النفس ابتداء، كعامل أساسى لأنها هى الأساس الذى ينبنى عليه البنيان الفردى الذى يتولى بعد ذلك إقامة أسس البنيان الأسرى والاجتماى والشعوبى، أو العلاقات بين الشعوب وما يعرف الآن بالعلاقات الدولية. ونتيجة هذا العمل الشاق المستمر الذى يقترن بالكد والجهاد والصبر عليهما مع المثابرة بما نعرفه من التجارب الإنسانية القديمة والحديثة، تتوقف النتيجة على مدى تحقيق الغاية أو عدم تحققها، وهى كما قلنا بالمعنى الواسع العريض لعبادة الله. إن الطريق إلى الجنة ليس طريقا معبدا بالورد... إنه طريق شاق يميز الله به - من خلال الأحداث المتصلة به - بين الإنسان الذى يستحق بشخصه أن يدخل الجنة وبين ذلك الذى لا يستحق بشخصه أن يدخل الجنة. كل ذلك من خلال أحداث الحياة الدنيا التى تعتبر امتحانا طويلا يحتاج إلى الاستعداد والصبر والمثابرة والمرابطة والجهاد لتكون نتيجته هى النجاح فى الآخرة، وذلك النجاح الذى يتمثل فى دخوله الجنة بمقاماتها المتفاوتة من القرب الروحى من الله تبارك وتعالى ورسوله، وبما فيها من لذة ونعيم إلى جانب اللذة والنعيم الحسيين ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ البقرة ٢١٤. وفى سورة آل عمران يقرر القرآن نفس المعنى ﴿أم

حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ آية ١٤٢ . وفى سورة التوبة يقرر القرآن نفس المعنى ويخص بالذكر فى هذا المجال بالذات الجهاد فى سبيل الله ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ التوبة/ ١١١ .

ويمكن أن نقول بصفة عامة بالإضافة إلى ما ذكرنا إن الطريق المؤدى إلى الجنة يرتبط فى الحياة الدنيا بأمور اعتقادية إيمانية، وسلوكية فردية واجتماعية، أهمها:

١ - الإيمان بشروطه الكاملة والعمل الصالح .

٢ - التقوى .

٣ - الإنفاق فى السراء والضراء .

٤ - كظم الغيظ والعفو عن الناس .

٥ - الإحسان .

٦ - ذكر الله والاستغفار من الذنوب والفواحش أو ظلم النفس مع عدم الإصرار على الفعل .

٧ - الهجرة إلى الله (بمعناها النفسى الأخلاقى) .

٨ - الإخراج من الديار والإيذاء فى سبيل الله .

٩ - الجهاد فى سبيل الله والموت فى سبيل الله .

١٠ - طاعة الله والرسول والإيمان بالله والرسول .

١١ - الصــــدق .

١٢ - الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال .

١٣ - الوفاء بعهد الله وعدم نقض الميثاق .

١٤ - وصل مـا أمـر الله أن يوصل ، وخـشـيـة الله ، ومـخـافـة يوم الحساب .

١٥ - الصبر ابتغاء مرضاة الله .

١٦ - إقامة الصلاة ، والإنفاق فى سبيل الله سرا وعلانية .

١٧ - درء الحسنة بالسيئة .

١٨ - الإخلاص فى الدين وفى العبادة .

١٩ - اتباع سبيل الله .

٢٠ - عدم حب وعدم موالاة من حاد الله ورسوله ، أى من عادى الله ورسوله ولو كانوا من ذوى قربى .

٢١ - التوبة النصوح .

٢٢ - إدامة الصلاة .

٢٣ - إعطاء السائل والمحروم حقهما المعلوم فى المال .

٢٤ - التصديق بيوم الدين .

٢٥ - الإشفاق من عذاب الله .

٢٦ - عدم الزنا .

٢٧ - مراعاة الأمانة والعهد مع الله ومع الناس .

٢٨ - عدم كتمان الشهادة .

٢٩ - المحافظة على الصلاة فى شكلها وجوهرها .

٣٠ - الاستغفار .

٣١ - عدم الخوض مع الخائضين فى الباطل فى الفكر والحديث .

٣٢ - التخلق بأخلاق القرآن والاقتداء بأخلاق الرسول ﷺ .

٣٣ - إسلام الوجه لله . وتوحيد الله وهو دين الرسل والأنبياء أجمعين .

٣٤ - البر . أى استيفاء شروط البر ، وأن يكون الإنسان من الأبرار .
والله سبحانه وتعالى لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

والحياة الدنيا تتصارع فيها الأعمال من خلال تأثير عاملين أساسيين هما الخير والشر . هذان العاملان هما اللذان يحددان مصير الإنسان النهائى الذى هو المصير الحقيقى لأنه المصير الذى يعيشه الإنسان فى استمرارية لا تعرف التأقيت أو بعبارة أخرى فى خلود . فالعمل الصالح له جزاؤه الناتج من العدل الإلهى . هذا الجزاء هو الذى عبر عنه القرآن بالجنة **﴿تلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون﴾** وعبر عنه أيضا فى الآية ٨٢ من سورة البقرة **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾** . وتعبيره - أورثتموها تعبير دقيق ومعبر ، فهو يقيم الوصل بين الإنسان وبين الإله ويوضح الغاية تمام التوضيح . فالإنسان لا يرث الجنة نتيجة أعماله الصالحة ، وإنما الإله تبارك وتعالى هو الذى يورثه هذه الجنة نتيجة أعماله الصالحة ، وهو معنى يتمشى مع فكرة أن الإله تبارك وتعالى هو الوارث لكل شىء ، كما فى

قول القرآن ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ الحديد/ ١٠ الذى يورثه الله الجنة هو إنسان يكون قد ذاق الموت ثم بعثه الله ثم حاسبه ثم أدخله الجنة ﴿يدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ محمد/ ٦ وهم عندئذ فى مجتمع كما قلنا سالفا يحيطه السام بالسلام ﴿سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ النحل/ ٣٣. وفى مكان آخر يذكر القرآن أمر ميراث الجنة ويوضح أن الميراث بفضل الله وإرادته، وذلك حين يقرر فى سورة مريم فى الآية ٦٣ ﴿تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا﴾.

إن الجنة الحقيقية هى جنة القرب من الله تبارك وتعالى، والنظر إلى وجهه الكريم. هذا هو النعيم الحقيقى لأهل اليقين، واللذة الحقيقية لأهل اليقين. فالجنة فى مضمونها هى اللذة والنعيم، والنار فى مضمونها هى العذاب والألم، وبهذه المعانى من النعيم واللذة الروحية يدخل أهل اليقين الجنة العاجلة فى الحياة الدنيا موصولين بالله وأسمائه، بينما جنتهم فى الآخرة هى أن يستمر هذا القرب من الله تعالى حيث تشهد وجوههم الناضرة الجمال الربانى، كل منهم على قدره أى على قدر الناظر، وليس على قدر المنظور. فهؤلاء وجهتهم دائما إلى الله تبارك وتعالى، وجنتهم هى قربهم من الله تبارك وتعالى، وهم المتوجهون بالكلية إلى الله، فوجوههم إليه ناظرة بهذا المعنى، والنعيم واللذة الحسيان عندهم دون وأدنى من نعيم ولذة الروح التى يحيا فيها الإنسان قريبا من مظاهر أنوار أسماء الجمال الإلهية، وفى هذا المشهد يقول أستاذنا محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه:

أنا لا أخاف وحقه من ناره ... كلا ولا أبغى الجنان لطيبها

فالقرب منه جنتى ونعيمها ... والبعد عنه ناره ولهيبها

النـــــار:

كما قلنا بالنسبة للجنة نقول بالنسبة للنار، أى كونها حالة فى المكان. والجنة والنار لكل منهما قسم معلوم من البشر ﴿فريق فى الجنة وفريق فى النار﴾ ولعل أهل النار هم الكثرة لأن القرآن يحدثنا عن أهل الجنة من المقربين وأصحاب النعيم أنهم ثلة من الأولين وثلة من الآخرين أو ثلة من الأولين وقليل من الآخرين. وربما كانت القلة المذكورة هنا هى القلة الخاصة بهذه الدرجة أو المكانة من الجنة. وهى درجة أو مكانة عالية لا يدركها إلا من تحلى بصفات المقربين أو أهل اليمين. وبصفة عامة فإن الجنة ـ كما يخبرنا القرآن ـ لا يلقاها إلا الذين صبروا ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم. ذلك أن الذين صبروا إنما يوفون أجورهم يوم القيامة بغير حساب. وربما كان هؤلاء من الذين يشملهم الوصف القرآنى الذى يذكر النبيين والصديقين والشهداء وهم رفقاء فى الجنة. أما الدرجات التى تقل عن هذه الدرجات العالية للجنة، التى ينعم بها ذوو الصفات المعنية، فإن فيها غالبية الذين يتحلون بالصفات العامة للذين يدخلون الجنة والتى تحدثنا عنها عندما كان موضوع حديثنا هو الجنة، نكتفى هنا بهذا القدر عنها إذ إن حديثنا فى هذا الموضوع هو عن النار.

لأهل النار من البشر صفات نخص منها بالذكر المشركين بالله والكافرين والمنافقين ومرتكبى الكبائر، وهى صفات تدور على محورين أساسيين يقوم عليهما أمر الإنسان . . .

المحور الأول: العقيدة والفكر.

المحور الثانى: السلوك.

وربما كان يدخل فى المحور الأول الصفات الثلاث الأولى التى ذكرناها سالفا، وهى الشرك بالله والكفر والنفاق، وربما كان يدخل فى

المحور الثاني الصفة الرابعة التي ذكرناها سالفا، وهي ارتكاب الكبائر. ومع ذلك يمكننا أن نقول استنادا إلى القرآن ذاته ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ النساء/ ٤٨ . من منطلق أن رحمة الله سبقت غضبه وأن مشيئته لا قيود تحدها، وهذا يقودنا إلى قضية التوحيد، وهي قضية تتصل بالألوهية أوثق اتصال فيما تقرره من أن لا إله إلا الله. والأمر هنا لا ينعكس أثره بأي تأثير على الله سبحانه وتعالى سواء بالنفع أو الضر. لأن الله غني عما سواه وهو لا تنفعة طاعة المطيعين ولا تضره معصية العاصين، كما أنه لا يؤثر في جناب الله أن يؤمن به من يؤمن أو يكفر ويشرك به من يكفر أو يشرك فقد شهد الله أنه لا إله إلا هو، كما شهد بذلك الملائكة وشهد بذلك أولو العلم، وهو سبحانه وتعالى قائم بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم. فالأحدية حقيقة ثابتة يعلمها الله ذاته ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو ...﴾ وكل ما سوى الله من مخلوقاته سبحانه وتعالى مفتقر إلى الله، بينما لا يفتقر الله إلى غير ذاته. ومن هنا فإن الأمر ينعكس تأثيره على خلق الله سواء بالنفع أو الضر، ذلك أن كل خلق الله كما قلنا مفتقر إلى الله ولا غنى لأي مخلوق عن خالقه. ومن هنا كانت فكرة الدين التي تقررت بعد الآيات التي ذكرناها متممة لتشهد أنه لا إله إلا الله ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ففكرة الدين هي القاعدة الأساسية التي تحكم وجود المخلوقات كلها في الكون كله بكل مكوناته التي نعرف والتي لا نعرف، التي نرى والتي لا نرى. والإسلام المقصود هنا هو جوهر التسليم الكامل لمقتضى أمر الله سبحانه وتعالى، كما تنزل في سور الهدى المختلفة التي أتت إلى الإنسان بواسطة مختارين من النوع هم الأنبياء والمرسلون، قص علينا القرآن من قص وترك بعضا منهم لم يقصص علينا. والإسلام قانون طبيعي تخضع له المادة، وتخضع له الطاقة، ويخضع له الجماد والنبات والحيوان، كما يخضع له الإنسان،

وتخضع له الملائكة والجن، ويخضع له كل من أو ما قد يكون موجودا فى الكون من كائنات وموجودات ما زلنا لا نعلم عنها شيئا. والدين فى جوهره واحد حتى مع اختلاف الوسائط المبلغة له من الأنبياء والمرسلين ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ الشورى/ ١٣. والإسلام تختلف مظاهره حسب اختلاف أنواع المخلوقات والتى ذكرنا منها أصنافا فيما سبق. والصفة المشتركة فى الإسلام التى تخضع لها المخلوقات والكائنات جميعا هى صفة القانون الذى يسميه القرآن «سنة» والتى ينسبها إلى الذى وضعها اهتداء، وهو الله تبارك وتعالى لتكون بحسب التعبير القرآنى «سنة الله» وبحسب التعبير الإنسانى «قانون» يكون عند نسبته إلى الله «قانون الله».

يحدثنا القرآن عن النار فيقرر أن وقودها الناس والحجارة. والوقود طاقة تولد حرارة مصدرها النار. فالطاقة إذن تستوى مع النار ومع الوقود. ولما كان القرآن يقرر هنا المعنى الذى يؤدى إلى أن الناس والوقود متساويان، فإن ذلك والله أعلم يعنى أن هناك خليطا يمتزج ويتفاعل قوامه الوقود والطاقة والنار والحرارة والناس والحجارة. والفرق بين الناس والحجارة هو الفرق بين الحياة والموت، أو بين الكائن الحى وبين الجماد المادى الذى لا حياة فيه. ويكون المعنى إذن ـ فى فهمنا ـ هو أن هناك حياة فى النار وموتا فى النار. وهما نقيضان ينتج عنهما حالة من الاستمرارية التى يتحقق معها الألم والعذاب، ولا يكون فيها حياة ولا موت دائمان، وإنما حالة مستمرة دائمة من الألم والعذاب، وهى الحالة التى يصفها القرآن فيما يكون عليه الناس فى جهنم ﴿فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا﴾ طه/ ٧٤. ذلك أنه إذا مات الإنسان فإن استمرارية الألم والعذاب تنتهى، وإذا كان الإنسان حيا فإن تأثير الحرق الشديد

الذى يؤدى إلى الموت عـادة يكون غـيـر مـتـصـور . ولكن الاثنين ـ الألم والعـذاب من جانب والحريق من جانب آخر ـ يستمران فى خلود أبدى متصل بدوام المكان ، بذلك تدوم وتستمر الحالة من العذاب فى المكان فى صلة من الإحساس الإنسانى البدنى والنفسى . فالنار تحرق الأبدان وتشوى الوجوه ويصل عذابها إلى الأفئدة ﴿نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة﴾ الهمزة/ ٦ ـ ٧ . وهذان أشد وأقصى أنواع العذاب والإيلام بالنسبة للكائن الإنسانى . ونفس الشىء يحدث بالنسبة للمخلوقات الذكية الأخرى التى تخضع للمسئولية والتى ذكر منها القرآن «الجان» ومن هنا نقول إن الفكرة فى النار هى فكرة الإيلام والتعذيب على أساس العقاب . كما أن الفكرة فى الجنة هى فكرة التلذذ والتنعيم على أساس الثواب . والأوصاف التى جاء بها القرآن للاثنين هى للترهيب والترغيب ، بينما الأمر فى حقيقته فوق مقدور تصور البشر ، وإنما ضربت الأمثال ووضحت الأوصاف والأحوال تيسيرا للذكر الإنسانى ، وتقريبا للفهم البشرى حتى يمكن لكل فرد من البشرية أن يدرك حقيقة ما جاء من أجله الرسل مبشرين ومنذرين . والحقيقة أن النعيم فى الآخرة فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، أى عقل بشر ، بينما العذاب عذاب أليم وشديد ومخيف ، الأول يعكس رضاء الله تعالى ، والثانى يعكس غضبه ، فى جمال الأسماء الحسنى فى النعيم وجلالها فى العذاب الأليم ، وهى الحقيقة التى كان يعلمها النبى ﷺ وقال بشأنها ما روته لنا كتب الحديث عنه فى قوله «اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك» فهى صفات لها تجليات فى أفعال وتأثيرات مصدرها جميعا الذات الأحدية . والإنسان الناجى هو إنسان مات الشر فى نفسه وقامت قيامته وأبصر ساعته باليقين فى كل ساعة ، رؤية منه للجحيم تبدأ من علم اليقين وتنتهى إلى عين اليقين ،

إنسان حاسب نفسه قبل أن تحاسب وساءلها قبل أن تساءل، يمشى فى الدنيا على الصراط المستقيم فى حياته حين يدركه الموت، ويبعث مبصرا في الآخرة كما كان مبصرا فى الدنيا، نوره يسعى بين يديه، وبيمينه تتلقاه الملائكة بالبشرى ﴿هذا يومكم الذى كنتم توعدون﴾ عرف فى الدنيا الطريق إلى باب الله وفى الآخرة تفتح له الجنة الأبواب. وقد قرن القرآن الإيقان باليوم الآخر بالمتقين، كما فى بداية سورة البقرة، وبالخاشعين كما فى الآية ٤٦ من سورة البقرة، وجعل الإيمان باليوم الآخر من خصائص البرِّ كما فى الآية ١٧٧ من سورة البقرة أيضا.

لا تبقى ولا تذر:

الله يخوف الإنسان بالنار. وهو بالتالى يخوف الإنسان بشىء معروف له وملموس لديه، والمشهود والمرئى له والمجرب، فالإنسان يعرف ما يمكن أن تؤتيه من آثار فى جسده درجات الحرارة العليا، ويعرف أن النار تختلف درجات حرارتها باختلاف المصدر الذى تتولد منه هذه الطاقة الحرارية. ويعلم أن الحريق المتولد من النار له آلام رهيبة. ويعلم أن هناك درجات عالية جدا من الحرارة يمكن أن تحرق الإنسان بما لا يبقى ولا يذر. فإذا أخذنا الشمس كمثال للطاقة الحرارية للمقارنة بدرجات الحرارة المعروفة للإنسان على الأرض أمكننا أن ندرك ونفهم ما كان يشير إليه الرسول ﷺ بما معناه: إن ناركم هذه جزء بسيط من نار جهنم. إن درجة الغليان المعروفة للإنسان فى الأرض هى مائة درجة مئوية، والإنسان لا يمكنه أن يتحمل جسده هذه الدرجة من السخونة أو التأثير الحرارى. ولكى ندرك قصد الرسول صلوات الله عليه وسلامه نشير إلى الشمس، وهى أقرب نجم نارى إلى الإنسان يراه الإنسان كل

يوم ويعلم عنه بفضل تطور العلوم كثيرا من الخصائص. تبلغ درجة حرارة الشمس على السطح ٥٨٠٠ درجة مئوية وتوجد نجوم نارية أخرى تزيد حرارتها السطحية عن حرارة الشمس إذ تبلغ ١٠٠٠٠٠ درجة مئوية، أما فى باطن الشمس فإن درجة الحرارة تبلغ ١٥ مليون درجة مئوية. ويعتبر هذا القدر من الحرارة قدرا متوسطا بين النجوم النارية أى أن هناك درجات حرارة أعلى يمكن أن تصل إلى مئات الملايين من الدرجات المئوية. بهذا القدر من درجات الحرارة العالية ودرجات الإحراق الرهيبة يمكن أن نفهم تقرير القرآن عن جهنم الذى يقرر ﴿لا تبقى ولا تذر﴾ المدثر/ ٤٨. إن أى إنسان يوضع فى نار تبلغ درجة الإحراق الحرارية فيها مثل هذه الدرجات يتلاشى فى زمان لا يمكن قياسه.

الخــوف

طبيعة الخلقة الإنسانية يعلمها الله تبارك وتعالى علما كاملا، وهذه بدهية يقول فيها القرآن ﴿ألا يعلم من خلق ...﴾ الملك / ١٤ . يعلمها فى فسيولوجيتها الجسدية ويعلمها فى كل مراتب وعيها وما يتصل بهذا الوعى من عوامل نفسية وصفات تنتج من تفاعل الأجهزة المختلفة التى يتكون منها الإنسان، بما فيها الجهاز العصبى والمخ بصفة خاصة. وهى التفاعلات التى تكون شخصية الفرد وتنتج عنها صفات عديدة تختلف فى نوعيتها من فرد لآخر، وكذلك فى كمها من فرد لآخر، ومنها ما يتصف به الأفراد جميعا بصفة عامة. والخوف من الصفات التى يشترك فيها الناس جميعا وإن كانت قد تختلف من حيث الكم والدرجة من فرد لآخر. ومن هنا فإن القرآن حين يبرز فى الكثير من آياته جانب الجلال فى أسماء الله الحسنى، وهو الجانب الذى يشمل التخويف من الله سبحانه وتعالى ومن عذاب الله الشديد والتخويف من أهوال يوم القيامة، ومن أحوال الحساب فى ذلك اليوم والتخويف من الأحداث التى تقترن بقيام الساعة من الكوارث الكونية، ثم بعد ذلك كله التخويف من عذاب النار وإحراقها، فإنه يواجه بذلك غريزة موجودة فعلا فى الكائن الإنسانى، ولكنه إذ يفعل ذلك فإنه يرتقى بالإنسان الذى يحمل صفة الخوف ليوجه هذه الصفة أو هذه الغريزة نحو مركز واحد فقط هو مركز الألوهية. فالخوف يجب أن يكون من الإله وحده. ولا ينبغى أن يستغل البشر فيما

بينهم هذه الغريزة ليخوف بعضهم بعضا ، أو ليهددوا الإنسان فى حرينه الفكرية وفى سلوكه المعتدل وفقا لإرادته المستقلة ، وهو الأمر الذى يقرر القرآن فى شأنه ﴿ويخوفونك بالذين من دونك ...﴾ وأيضا ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ آل عمران ١٧٣ . والنتيجة ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو الفضل العظيم﴾ آل عمران ١٧٤ . فالدين ليس منبعه غريزة الخوف فى الإنسان ـ وكما تذهب إلى ذلك بعض مدارس علم النفس ـ ولكنه يتلاقى مع هذه الغريزة حين يسمو بها عن مستوى التعامل البشرى إلى مستوى التعامل مع الإله سبحانه وتعالى الذى هو وحده الذى ينبغى أن يخشاه الإنسان ويخافه الإنسان . أما من دونه من البشر فكلهم عبيد مربوبون متساوون فى الصفة الإنسانية ، ومن ثم فلا ينبغى أن يكون تعاملهم ناتجا من الخوف واستغلاله لدى البشر . وكل ما يؤدى إلى التخويف من جانب بشر تجاه بشر آخر فهو ممقوت فى الإسلام ـ وفى كل الأديان ـ الذى يريد من أبنائه أن يوجهوا هذه الغريزة التى لا فرار منها ، نحو الإله تبارك وتعالى بما ينتج عنه الإخاء الإنسانى الشامل الذى يتعامل البشر فى ظله على أساس المساواة ، وعلى أساس تحقق الأمن والأمان للإنسان الفرد والمجتمع ككل . وعندما يريد الله من البشر أن يخافوه فإنه إنما يريد ذلك حتى تستقيم حياة البشر على نهج الله بما يحققه ذلك من عوامل إيجابية تنعكس على السلوك الفردى ، وسلوك المجتمع ككل الذى تتجمع فيه عوامل الخشية ، وتتركز فى ركيزة واحدة هى الله سبحانه وتعالى ، فتتحقق فى النهاية سعادة الفرد وسعادة المجتمع . وهذا ينطبق على المناهج الربانية التى تنزلت إلى البشر على أيدى الأنبياء والمرسلين والتى مظهرها الأكمل الخاتم هو القرآن . فالقرآن وثيق الصلة بالله تبارك وتعالى لأنه كلامه جل شأنه ، ومن هنا فإن

الترهيب جانب من الجوانب التى يركز عليها القرآن سواء بتقريره بالنسبة لمقام الله سبحانه وتعالى وعذابه يوم القيامة، أو بالنسبة لتشريعاته التى تنظم الحياتين الفردية والاجتماعية للبشر، الذين يعيشون فى مجتمعات منظمة. وبذلك يلتقى مع الإنسان فى جانب من جوانب تركيبه النفسى، ثم يرتقى بالإنسان الذى يحوى هذا الجانب ليوجه طبيعته هذه - طبيعة الخوف - نحو مصدر واحد تتعلق به نفوس الناس وخشيتهم. نحن نعلم أن البشر يسيئون استعمال هذه الغريزة - الخوف - حين يتعاملون فيما بينهم نتيجة التجبر والطغيان بصورهما العديدة، ومعهما تهدر كرامة الفرد وتجمد قدرته على الإبداع والابتكار. تلك القدرات التى لا تؤتى ثمارها إلا فى مجال من الأمن والأمان والطمأنينة والكرامة والحرية المنضبطة. وهذه الصورة من التخويف هى للإذلال ولكبت الحرية الفردية، بينما تخويف الله ليس للإذلال وكبت الحرية الفردية، وإنما هو لبيان الحقيقة والتحذير منها ومعاونة الإنسان لمواجهتها، فيما ينتهى إليه مصير الإنسان فى الحياة الآخرة، وهى الحياة الحقيقية الخالدة كما أنه يفعل ذلك أيضا لتوجيه الناس فى الأرض للاستقامة على الخير فى العقيدة والسلوك وفى التعامل فى نطاق من المساواة ،والحرية والإخاء والكرامة التى خلق الله الإنسان عليها منذ نشأته الأولى. فتخويف الله للإنسان تخويف إيجابى التأثير يجد آثاره فى الحياة الأسرية والحياة الاجتماعية وعلى مستوى العلاقات بين الشعوب المختلفة لأنه تخويف يفرض الرقابة الفردية الذاتية من الفرد على نفسه قبل رقابة الغير ﴿وخشى الرحمن بالغيب﴾ يس ١١ . وهو أهم عنصر من عناصر استقامة المجتمع على النفع العام والخير العام. فهو خضوع لله يحوى بين طياته رفعة لقدر الإنسان الذى يتحلل من الخوف من أمثاله الذين يخضعون لله رب العالمين بالضبط كما يخضع هو.

هذا هو الأمر في التخويف في القرآن ويقابل هذا الجانب من الخوف في الإنسان جانب الرجاء. فالترهيب في القرآن يقابله ترغيب. ترغيب في رحمة الله . . . وفي مغفرته . . . وفي كرمه . . . وفي إحسانه . . . وفي تجاوزه عن السيئات . . . وفي نعيمه فيما جاء في وصف الجنة ونعيمها ولذتها الحياتية الخالدة. . . وهو الجانب الذي يجعل حياة الإنسان متوازنة في الدنيا، رجاء من جانب وخوفا من جانب آخر، كالجناحين للطائر يضبطان توازنه في حركته وسلوكه **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾** الزمر / ٥٣ . وبهذين الجانبين تستقر حياة الإنسان في الأرض، وتستقيم في توازن نفسي وشعوري يجعل الحركة في الإنسان وسلوكه متوازنين في إيجابية ينتج عنها الإبداع والابتكار والعمل البناء والإنتاج المثمر. . إلخ.

يلعب الخوف الشديد دورا أساسيا فيما يتعلق بالذاكرة. فعندما يواجه الإنسان حقيقة مخيفة فإن صورة الشيء المخيف، أو صورة هذه الحقيقة المخيفة تسجل في جزء معين بالمخ هو المسمى (Amygdala) وتظل هناك لا تنمحي أبدا ويظهر معها في الذاكرة الواعية ما سبق أن سجله المخ، وظل في اللاوعي من الأحداث المؤثرة في حياة الإنسان كلها والتي تختزن هي الأخرى إلى جانب صورة هذا الحدث المخيف أو الحقيقة المخيفة. وبالنسبة لجهنم فإن الإنسان بمجرد شهوده لها ينتابه من الخوف ما يسجل في وعيه في المخ وتنشط الذاكرة عند ذلك لتتذكر كل الحوادث والتجارب والأعمال والذكريات والانطباعات النفسية التي مرت بالإنسان في حياته الدنيوية والتي اختزنها المخ بكل دقائقها الصغيرة والكبيرة، وهذا هو ما يشير إليه القرآن في تقريره في سورة الفجر **﴿وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان﴾** الفجر/ ٢٣ . ولكن الذي يحدث هو

فوات الفرصة للنجاة من عقاب الله الأليم ﴿وأنى له الذكرى﴾ ويرجو الإنسان حينئذ لو أنه عمل عملا صالحا فى الدنيا ينجو به من العذاب المخيف المؤلم الذى يواجهه ﴿يقول ياليتنى قدمت لحياتى﴾ الفجر/ ٢٤ .

التخويف يتضمن عنصر الألم. والألم عذاب. والعذاب يكون بالإيلام سواء كان الألم نفسيا أو جسديا، ولذلك يفرق القرآن بين العذاب وبين الألم فى نفس الوقت الذى يقرنهما معا (وعذاب أليم) وكلما ازداد تصور الإنسان وضوحا لمضمون الألم والعذاب، كلما كان ذلك رادعا له لكى يستقيم بالفكر والسلوك فى الارتباط بالله وبأحكامه. وفكرة الردع هذه هى الفكرة الأساسية فى العقوبات الجنائية والمدنية فى الإسلام. فمجرد تصور قدر العقوبة وما توقعه على الفرد من إيلام وعذاب يمنع الفرد من الوقوع فى الفعل الذى تترتب عليه العقوبة، كما فى عقوبة الزنا والسرقة والخمر وغير ذلك. ويخطئ الذين يتصورون أن القرآن شديد القسوة فى عقوبته على هذه الجرائم أو غيرها. فالعقوبة الشديدة فى مثل هذه الجرائم هى الضمان الأكيد لحماية المجتمع من حدوثها فعلا. فالذى يخاف شدة العقاب المؤلم وما فيه من عذابين جسدى ونفسى، سوف يبتعد بالتأكيد عن الفعل الذى تترتب عليه مثل هذه العقوبة. وهو نوع من الوقاية للمجتمع من الأفعال التى فيها انحراف يهدم البنيان الأخلاقى الذى ينبغى أن يقوم عليه المجمع. وفوق ذلك فإن الفرد الذى يدرك أن جزاء الفعل المعين هو العقوبة المعينة الشديدة، يدرك أيضا أن هناك عقوبة أخرى تنتظره فى الحياة الآخرة بعد الموت، وعند البعث وأن المعاقب عندها هو الله، والفرد يومئذ لا يملك أن يغير من أمره شيئا، بينما هو يملك هذا التغيير إلى الأحسن والأفضل فى الحياة الدنيا حيث إن أسماء الله الجمالية تؤكد للإنسان إمكانات استقامته على طريق الله، حتى بعد الانحراف والمعصية، حيث إن الله هو التواب وهو

الرءوف وهو الرحيم وهو الودود . . . وبذلك يجتمع كما قلنا الخوف مع الرجاء لتستقيم حياة الفرد، ومعها حياة المجتمع ومعهما حياة الأسرة الدولية كلها فى توازن، قوامه الصلة القائمة بين الفرد وبين الله سبحانه وتعالى.

المـــــوت

ينبـغى أن يكـون مـعلومـا أن الموت الذى يعـقب الحيـاة ليس مـرادفـا للعـدم . فـالموت عبارة عن انتقـال من حـالة إلى حـالة أخرى . انتقـال من حـالة الحياة الجسدية المعروفة لنا إلى حـالة الحياة الروحية الصرفة غير المعروف لنا . والذى يدل على ذلك هو أن الحياة مخلوقة ، كما أن الموت مـــخلوق ﴿هو الذى خلق الموت والحـياة ليبـلوكم أيكم أحسن عـملا﴾ والموت عادة ما يعقب الحياة الجسدية الروحية المعروفة لنا ، ولذلك فـمن الأرجح أن يشمل تعبير الحياة الذى جاء فى التقرير القرآنى السالف كل أنماط الحياة التى يعيشها الإنسان أى حياته الدنيوية ، وحياته البرزخية وحياته الأخروية . كـما أن دلالة هـذا النص القرآنى قد تعنى الموت الذى يسبق الحياة السـابقة عليـه . ولكن الموت الذى يسبق الحيـاة هنا بالنسـبة للإنسان ليس يعنى حالة إنسانية سابقة على حـالة الحياة الجسدية الروحية ، ولكنه يعنى ـ العدم ـ وهو ما يوحيه النص القرآنى التالى ﴿وقد خلقتك من قبل ولـم تك شيئا﴾ وذلك بالنسبة لكل إنسـان يكون فى بدايته من النطفة ، أى الخلية حاملة الحياة ، والنص التالى ﴿هل أتى على الإنسـان حين من الدهر لم يكن شـيئا مـذكورا﴾ الإنسـان / ١ . بمعنى قد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يك شـيئـا مـذكـورا ، وذلك بالنسـبـة للنوع الإنسـانى والجنس البشرى ككل الذى تكون فى بدايته من عناصر هذه الأرض المائية الترابية النارية .

والقرآن يستعمل تعبيرين متضادين فى حقيقتيهما، فالموت ضد الحياة ولمعرفة الحياة لا بد من معرفة الموت، والاثنان عبارة عن حالتين يذوقهما الإنسان، ولذلك يقرر القرآن ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ وتعبير سقاهم يتمشى مع التذوق بمعنى أن الذى يذوق نعيم الحياة الآخرة، فكأنما يذوق شرابا طهورا، وهو وصف لتوضيح حالة النعيم، كما فى الكثير من أوصاف النعيم التى جاء بها القرآن فى الحديث عن الجنة فى الحياة الآخرة. ويقرب هذه الفكرة إلى الأذهان ما يقرره القرآن خاصا بالشهداء، وهم الذين قتلوا فى سبيل الله أثناء الجهاد فى سبيل الله ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون. فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ آل عمران/ ١٦٩- ١٧٠ . فهنا تعبير صريح واضح أن الموت فى حقيقته حياة. فالشهداد جزاؤهم سريع وفورى يتمثل فى حياتهم فى النعيم والسعادة والطمأنينة والراحة واللذة، وهذه هى الجنة الخاصة بالشهداء، أو مقام الشهداء فى الجنة فى الآخرة.

والموت يتصل فى حقيقة الأمر بالمخ فى الإنسان. والمخ هو العضو أو الجزء الوحيد فى جسد الإنسان الذى لا يمكن بأية حال من الأحوال عندما يتلف أن يزرع الأطباء غيره كالقلب والكبد والرئة وغيره إذ إنه إذا توقف وصول الدم إلى المخ ثلاث دقائق فإنه يموت فورا، ولا يمكن لأحد أن يجعل المخ يعيش بعد ذلك للفترة التى تستلزمها زراعة غيره، كما أن المخ متصل عن طريق النخاع الشوكى بجميع أجزاء الجسم وحواسه، وعندما يتم فصل المخ عن كل هذه الأجزاء فإنه لا يمكن إعادة توصيلها ولو افترضنا جدلا أنه تم توصيلها بمعجزة فإنه لا يمكن أن تلحم مع بعضها،

فالله سبحانه وتعالى قد خلق المخ بشكل وطريقة لا يمكن بأية حال من الأحوال التوصل إليهما أو اكتشافهما أو إعادة تركيبهما .

ومن هنا فإن الموت فى الحقيقة ليس هو توقف القلب عن أداء وظيفته وإنما هو موت المخ . بمعنى توقف القشرة المخية وجزء المخ تماما عن العمل توقفا مستديما . والتوقف المستديم عند الأطباء يفترض وجود ثلاثة عوامل :

(١) أن يكون سبب الموت معروفا وواضحا ويمكن تفسيره .

(٢) ألا تكون هناك أية احتمالات للتحسن .

(٣) أن يستمر هذا التوقف بالنسبة للمخ لمدة ١٢ ساعة كاملة .

ويكون رسم المخ هو أساس إعلان موت المخ ، وبالتالى إعلان موت الإنسان .

فكرة الموت تقترن أشد الاقتران باليوم الآخر ، الحساب ، والعقاب ، والثواب وبالتالى بحقيقة الساعة . والموت يقترن بالحياة كما تقترن الحياة بالابتلاء ، أى الاختبار المقترن بأنماط السلوك الإنسانية المختلفة ودوافعها النفسية والفكرية المختلفة التى تكمن وراءها بما فى ذلك السلوك الظاهر والخفى . فالحياة كواقع معيشى ليست بلا هدف ، وإنما تقترن الهدفية بحقيقة الحياة الإنسانية سواء حياة الإنسان كنوع فى الابتداء أو حياة الإنسان كفرد مستقل . وفكرة الهدفية هذه أو الغائية يوضحها القرآن فى العديد من آياته ومن أمثلتها **﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ ﴿الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾** الملك / ٢ . واقتران حقيقة الساعة بحقيقة الحياة ، والنشاط الإنسانى بمختلف أنماط السلوك فيه ودوافعها المختلفة يوضحها القرآن فى سورة طه **﴿إن الساعة آتية أكاد**

أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى﴾ طه / ١٥ . فلا يظن الإنسان أن الموت ينهى وجوده إنهاء كاملا ، فالموت بداية لأنماط أخرى من الحياة . تبدأ بالحياة البرزخية فى القبر بعد الموت ثم الحياة الآخرة بعد البعث . وفى هذه الأنماط المختلفة من الحياة تكون ساعة حساب الناس على مرحلة أو طور حياتهم الدنيوية ، وعين الله لا تغفل عن كل ما يفعله أو يدور بفكره ، أو توسوس به نفسه ، أو يختزنه فى عقله الباطن أو فى اللاوعى مما قد ينساه الإنسان نفسه ، ولا ينساه الله سبحانه وتعالى ، ويظهر كله بجميع وقائعه وتفاصيله حين يقرأ كل إنسان كتابه الذى سجله عليه مخه فى الحياة الدنيا ليكون هو نفسه المحاسب لنفسه من خلال هذا التسجيل أو السجل **﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾** وبذلك نفهم قليلا كيف أن الله سبحانه تعالى لا يغفل عن أحد ولا يظلم أحدا ، وإن كل إنسان يحمل على عاتقه وحده تبعات أعماله بحيث لا تزر وازرة وزر أخرى .
كل إنسان مستقل كفرد يأتى ساعة الحساب مسئولا عن نفسه يحمل سجلا كاملا مطابقا تماما لأصل سجله فى الحياة الدنيا ، وهو الأمر الذى توضحه لنا تماما الحقيقة الخاصة باختزان المخ لكل دقائق التجارب التى يمر بها كل فرد **﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾** الإسراء/ ١٣-١٤ . وأيضا **﴿ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾** الكهف / ٤٩ . ومن هنا نفهم المقصود من أن كل إنسان يبعث على ما مات عليه لأن الإنسان يتذكر جميع التفاصيل المتصلة بتجربته فى الحياة الأولى التى سجلها الله عليه فى نفسه من نفسه ، وعلمها الله وما زال يعلمها وسيظل يعلمها بعلمه القديم الأزلى الأبدى **﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** ق/ ١٦ .

وأيضا ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور﴾ غافر / ١٩ . وأيضا ﴿يعلم السر وأخفى﴾ طه/ ٧ . وأيضا ﴿إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾ الأعلى / ٧ . ومن هنا فإن الإنسان المؤمن بالله واليوم الآخر يكون رقيبا على نفسه بنفسه يراقب الله سبحانه وتعالى ويخشاه فى الحضور والغيب أى فى الاجتماع والوحدة، وكلما ازداد إيمانه ازدادت مشاهد تجربة الساعة أمام نظره وضوحوا وتجسيما ، ويصف القرآن مثل هذا الإنسان بقوله ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ الشورى / ١٨ . أى من الساعة ، ومن الإيمان فى أعلى مراتبه من القوة يكون العلم اليقين الذى يساوى الشهود والنظر ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين. لترون الجحيم﴾ التكاثر / ٥ـ ٦ . وعكس الحضور والمراقبة هى الغفلة عن الله واليوم الآخر . هذه الغفلة تدفع الإنسان إلى الإعراض ﴿اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون﴾ الأنبياء / ١ . وهما معا ـ الغفلة والإعراض ـ أساس كل بلاء وشر يصيب الإنسان كفرد وكنوع .

البعــــث

يتصل أمر الساعة بحقيقة أساسية فى القرآن هى حقيقة البعث، ذلك أنه لا حساب فى الآخرة إلا بعد البعث. كما تتصل حقيقة البعث بحقيقة أخرى هى حقيقة الموت، وبموت الإنسان ـ كنوع أى فنائه ـ تتغير طبيعة الطاقة الإدراكية فى الوجود . الحالة التى كانت عليها وقد حملها الإنسان الحى إلى الحالة الروحية الصرفة التى يتحول إليها الإنسان الميت . وعندما يصير أمر التدبير والتصرف هو بغير حرية أو قدرة من جانب الإنسان، وإنما بحرية وقدرة الله سبحانه وتعالى وحده الذى له صفة القيومية والملكية أو الملك وبأمره وحده لا شريك له يكون التدبير والتصرف وهما أحد معانى ﴿كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ الرحمن ٢٦ ـ ٢٧ . إن الإنسان الذى كان يملك حرية الإرادة والتصرف والقدرة على الحركة الحرة النشطة قد فقد هذه الميزة عندما يقف أمام الملك الديان يوم القيامة فى ساحة الحساب الذى يتبعه الثواب والعقاب أى الجنة والنار. وفى النار لا يملك الإنسان حريته بينما هو يملكها فى الجنة . والفيصل إذن بين امتلاك الإنسان لحريته وإرادته وقدرته على الحركة الحرة النشطة وبين فقدانه لهذه الميزة هو الحساب الذى يعقب قيام الساعة . ومن هنا نفهم كيف أن الذى أعطى الأمانة للإنسان ليحملها، هو نفسه القادر على أن يسلب من ذاته نفس هذه الأمانة . وربما كان فقدان الإنسان للقدرة على النشاط المبدع الذى يأتى بالجديد المؤثر هو الذى قصد إليه

القرآن فى وصفه لحالة الإنسان فى ذلك المشهد الرهيب مشهد الحساب يوم القيامة، حينما يقرر ﴿وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا﴾ طه / ١٠٨ وحينما يقرر ﴿... إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا﴾ النبأ / ٣٨. وأصحاب النار على وجه الخصوص تخشع أبصارهم من الذل النفسى الذى يعيشونه ويحسونه، وهم لا يملكون القدرة على تغييره ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربى أرجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت﴾ المؤمنون / ١٠٠ . ﴿قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ طه / ١٢٦ . ونسيان الله للإنسان يوم القيامة ليس نسيانا عن صلة بالإدراك الإلهى، وإنما هو نسيان مجازى المقصود منه الإهمال والترك ليواجه الإنسان مصيره المؤلم الذى يحياه فى بؤس مستمر لا يضع الله له نهاية إلا إذا شاء، ومشيئته هذه هى الذكر الإلهى لهذا الإنسان البائس الذى كان فى عذاب نسيان الله له بالإهمال والترك.

البعث إذن حقيقة يؤكدها القرآن ﴿قل إن الأولين والآخرين. لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم...﴾ الواقعة ٤٩ ـ ٥٠ . وهى حقيقة يقربها لأذهان الناس بأمثلة محسوسة لهم حتى يعلموا أن القدرة الإلهية التى أتت بالبعث بعد الموت فى هذه الأمثلة، هى ذاتها القدرة التى تأتى بالبعث بعد الموت للإنسان أيضا ﴿وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم. قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون. أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون. فسبحان

الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون﴾ يس / ٧٨ ـ ٨٣ . وهذه إشارة إلى أن البعث يكون بالجسد والروح معا ، وإن كان يمكن أن تختلف الأبعاد التى يحيا فيها الإنسان فى الآخرة عن الأبعاد الأربعة المعروفة للإنسان فى الحياة الدنيا ، وخاصة البعد الزمنى وصلته بالتكوينين الفسيولوجى والبيولوجى للإنسان بما تتحقق معه حقيقة الخلود فى صلة بالمكان .

وتظهر فكرة الحياة والموت فى مثال محسوس متصل بالنبات والشجر بالذات من المملكة النباتية ﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾ يس / ٨٠ . فهذا موت بعد حياة ، أو تحول من حالة إلى حالة . ويضرب القرآن للإنسان مثلا آخر للحياة بعد الموت ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ الحج / ٥ . وهناك مثل آخر تختلط به الحياة مع الموت فى اتصال بلا انفصال وهو الذى يقرر فيه القرآن ﴿تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب﴾ آل عمران / ٢٧ . وهنا يتصل الأمر بحقائق التكوينين الفسيولوجى والبيولوجى للكائنات الحية ، كما يتصل بالنظامين الاقتصادى والاجتماعى للإنسان اللذين فيهما أنماط من الحياة ، هى الموت بعينه حينما تفتقد من حياة الناس العدالة الاجتماعية . ويقرر القرآن فى أمر البعث أيضا :

١ ـ ﴿وأن الله يبعث من فى القبور﴾ . الحج / ٧ .

٢ ـ ﴿ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون. قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ يس/ ٥١-٥٢ .

٣ـ ﴿ونفخ في الصور فصعق مـن فى السموات ومن فى الأرض إلا ما شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ الزمر / ٦٨ .

٤ ـ ﴿يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير﴾ ق/ ٤٤ .

٥ ـ ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم﴾ الزلزلة / ٦ .

الحيـاة الآخـــرة

وللإيمان باليوم الآخر تأثير فى حياة البشر . وليس الأمر متعلقا بالحياة الأخرى فقط ومصير كل فرد فيها ، وإنما هو متعلق بالحياة الدنيا وسلوك كل فرد فيها . فالإيمان باليوم الآخر ذو تأثير إيجابى فى حياة كل فرد من الناس وليس ـ كما قد يظن البعض ـ مسألة نظرية غير ذات اتصال بواقع الناس فى الأرض فى الحياة الدنيا . فعلى العكس من ذلك يعتبر الإيمان باليوم الآخر مسألة واقعية ذات اتصال مباشر بواقع الناس فى الأرض فى الحياة الدنيا . فكل سلوك ينبع بدافع من ضمير حى يراقب الله تبارك وتعالى ، ويعلم علم اليقيم بالمساءلة يوم القيامة لا بد أن يكون سلوكا بناء ينشد دائما جانب الخيرين الدنيوى والجماعى . وسلوكيات أى مجتمع هى عبارة عن سلوكيات الأغلبية فيه ، وبنية أى مجتمع هى عبارة عن بنية الغالبية من الناس فيه . كما أن الغالبية من أفراد المجتمع لو آمنت باليوم الآخر واستقر فى ضمائر هذه الغالبية من الأفراد العلم اليقينى باليوم الآخر لكانت النتيجة أن كل فرد من الأفراد المكونين لهذه الغالبية فى المجتمع سيراقب بضميره المؤمن بالله سلوكياته ، ويتقن أعماله ويقوى انتماءه للمجتمع ، ويخلص فى أداء مسئولياته الملقاة على عاتقه أيا كان حجم هذه المسئوليات صغيرا أو كبيرا . . . وبذلك يصبح كل فرد عاملا بناء فى الهيكل الاجتماعى كله ، يرتبط فى ضميره وفى فكره ، يومه فى الدنيا بيومه فى الآخرة ، وينعكس ذلك على سلوكه ودوافع هذا

السلوك، كما ينعكس على نمط نشاطه فى المجتمع ونوعية عمله المنتج فيه. ونحن نحتاج فى مجتماعتنا المسلمة اليوم لأفراد ترتبط فى فكرهم الدنيا بالآخرة، ويسعون فى الأرض بناء وتعميرا وإنتاجا واكتسابا للمعرفة من منطلق المسئولية التى يحملها كل فرد من خلال إيمان بالمساءلة عن السلوك والنشاط والعمل.

وفكرة الإيمان باليوم الآخر لا تعنى القعود عن العمل فى الدنيا، بل على العكس إنها صمام الأمن لتوجيهات السلوك نحو النافع للمجتمع وما يعود عليه بالخير. قد وجهنا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى غرس شجرة للخير العام، والمنفعة العامة ولو كانت الساعة ستقوم بعدها بلحظة، لعل الحديث أو الحكمة التى تقول بالعمل للدنيا كأن الإنسان يعيش فيها أبدا، والعمل للآخرة كأن الإنسان يموت لغده، فيها تأكيد وتوضيح للمعنى الذى نقوله. إن عنصر الخير المنبثق من الإيمان القوى بيوم القيامة أو اليوم الآخر، بما يشمله هذا العنصر من أخلاقيات وسلوكيات وأنشطة وأعمال مبنية على هذه الأخلاقيات، هو عامل أساسى لمجتمع يريد أن ينهض ليحتل مكانه ضمن المجتمعات المتقدمة السابقة فى مضمار المعرفة والإنتاج وغيرهما من عناصر القوة التى تنبثق منها القدرة على التأثير فى مجريات الأمور فى عالمنا المعاصر، إن الإيمان باليوم الآخر عامل ديناميكى وليس عاملا إستاتيكيا كما يقال بلغة اليوم. . . والحياة نفسها ديناميكية مستمرة الحركة والتغير والتطور والترقى. . . وإنسان يؤمن بهذا اليوم الآخر إيمانا عن علم يقين هو قوام هذه الحركة وهذا التغير وهذا التطور وهذا الترقى موجهة جميعا نحو الخير للفرد والخير للمجتمع والخير للإنسانية جمعاء.

وتعبير الدين الذى استعمله القرآن فى وصف اليوم الآخر، يوم الدين يعنى والله أعلم، ما يكون كل إنسان فيه من شأن نفسه،

وشأن كل إنسان فى الآخرة هو شأنه فى الدنيا بصفة عامة إلا أن يشاء الله أن يغير من شأن إنسان إلى شأن آخر نتيجة مغفرته ورحمته وعفوه وكرمه ﴿فمن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ الإسراء/ ٧٢ . ولذلك فالدين قد يعنى ذلة وانكسار لناس وقد يعني عزة وكرامة لناس ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ آل عمران / ١٠٦ . الأولون يدينهم الله تبارك وتعالى فهم عبيد أذلاء ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض﴾ سورة النساء ٤٢ . وهم مقرنون فى الأصفاد ترهقهم ذلة . وجوههم يومئذ خاشعة عاملة ناصبة . . . والآخرون يدينهم الله تبارك وتعالى فيجازيهم خيرا وسعادة وهم الذين يجدون ما عملوا من خير فى الدنيا حاضرا فى ذلك اليوم ، وجوههم ناعمة لسعيها راضية أو ناضرة إلى ربها ناظرة . والدين قد يراد منه الجزاء والحساب على أساس العمل فى أيام الدنيا ، فإن القادر الوحيد على التغيير يومئذ هو تبارك وتعالى ، ومن هنا فإن الله هو مالك الملك ذلك اليوم ، يوم الدين أى شئون الناس فى ذلك اليوم الذى يحاسب فيه كل إنسان على أعماله فى الحياة الدنيا . وكما أن الله تبارك وتعالى هو مالك يوم الدين فإنه أيضا ملك يوم الدين لأن الملك ـ بنفس المعنى الذى ذكرنا ـ يومئذ لله الواحد الذى له القهر على الناس ويملك وحده إرادة التصرف بالثواب والعقاب فهو يومئذ القهار فوق عباده ﴿الرحمن لا يملكون منه خطابا﴾ النبأ ٣٧ .

إن أنماط السلوك التى اعتاد عليها الناس وجرت عليها شئونهم فى الدينا تنتهى بانتهاء فترة حياة الناس فى الدينا ، وبذلك فإن أيام الدين فى الدنيا ـ الدين بمعنى العادة أو الشأن وفيما يتعلق بالسلوك اليومى – غيرها عن يوم الدين فى الآخرة . ولا يحسبن إنسان أنه قادر على إرجاع عجلة الزمان إلى الوراء ليعيد الكرة من جديد فى حياة الدنيا فيحسن العمل ،

وقد تبين له يوم القيامة الحق فيما جاء به الأنبياء والرسل، وفيما قررته الكتب السماوية من وقوع الحساب وتذوق الثواب والعقاب ﴿قال ربى أرجعنى أعمل صالحا...﴾. والقرآن يصور فكرة الحساب على اعتبار أنها تقوم في الزمان بدون رجعة وتجدد فى الشئون على غير شئون الدنيا وحكم السلوك المعتاد فيها فى حياة الأفراد اليومية فيما يقرره من تعبير ﴿... من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ...﴾ البقرة/ ٢٥٤. هناك حياتان، الحياة الدنيا وهى مؤقتة بزمان محدود لكل إنسان. والحياة الآخرة وهى خالدة يمتد فيها الزمان بلا محدودية، وفكرة اتصال الثواب والعقاب أى الجنة والنار بدوام السموات والأرض ﴿خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ هود/ ١٠٧. ليس المقصود الاستمرارية من حيث استمرار وجود ودوام المكان المعبر عنه بالسموات والأرض، وهى سموات غير السموات وأرض غير الأرض. ﴿يوم تدل الأرض غير الأرض السموات﴾ إبراهيم/ ٤٨. تعبير ﴿إلا ماشاء ربك﴾ الذى ورد فى الآية ليس يعنى ـ والله أعلم ـ التأقيت أيضا، وإنما هو لبيان تنزيه المشيئة الإلهية والإرادة الإليهية من أن تحدها حدود بحيث لا يكون الخلود قيدا على إرادة الله ومشيئته وإنما هو من منطلق إرادته ومشيئته، وبالتالى يصح ما قيل من أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والدين لا يغفل الجانب السيكولوجى فى الإنسان من منطلق اهتمام الدين أساسا بنفس الإنسان وتربيتها وتدريبها على السلوك النافع المستقيم. ومن هنا فإن الله يقبل التوبة عن عباده أو من عباده ويعفو عن السيئات ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾ الشورى/ ٢٥. وأحيانا يبدل الله سيئات التائبين حسنات متى

اقترنت توبتهم بالإيمان الصادق والعمل الصالح ﴿إلا الذين تابوا وآمنوا وعملوا عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ الفرقان/ ٧٠.
ذلك أن التوبة هي اتجاه الإنسان بالكلية في الفكر الباطن يقترن بتركيز كامل وندم على الذنب الذى هو تفريط فى حق الله، وتحدث التوبة بذلك أثرا سيكولوجيا بالغ القوة لدى الإنسان أى تحدث أثرا نفسيا قويا على الإنسان بما يغير من حالته الفكرية التى يكون المخ قد أخذ منها فى التجربة فى الخطأ أو الذنب، ويغير من حالة المخ إلى وضع جديد يسمو بنفس الإنسان وفكره إلى مرتبة أعلى من المرتبة النفسية الفكرية التى كان عليها الإنسان حال أو بعد ارتكاب الخطأ والذنب، وحتى التوبة الصادقة النصوح والتوبة النصوح هى تلك التى تحدث ذلك الأثر النفسي الذى نتحدث عنه وتخلق فى الإنسان حالة عقلية جديدة تؤكد على النفس فتجعل الفكر وكأنه قد خلا من رواسب الذنب، تصبح النفس وقد خلت من تأثيرات الخطأ أو الذنب فيها.

ولعل ذلك الأثر السيكولوجى أو النفسى هو الذى توضحه آية الثلاثة الذين خلفوا فى المدينة، ويصف القرآن حالتهم الفكرية والنفسية بأدق تعبير فى تقريره ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾ التوبة ١١٨. إن الخطأ أو الذنب كما يحدث بتجربته آثارا نفسية كبيرة قد لا تدرك لوهلتها إلا أنها تترسب فى أعماق العقل الباطن وفى باطن النفس، وإنه بتجربة التوبة تحدث آثار نفسية كبيرة يغوص فيها التأثير إلى أعماق نفس التائب وأعماق عقله الباطن ليستخرج آثار الخطأ والذنب النفسية لكى تتحول إلى حالة نفسية وعقلية جديدة يعيشها التائب ويكون فيها موصولا بربه فيتسع فكره بقدر الضيق الذى كان عبئا ثقيلا عليهما فيخرج بالتوبة النصوح إنسانا آخر منشرح

الصدر موصولا برحمة الله وقدرته على المغفرة . . . وحين يدرك التائب عن يقين حق غفران الله لذنوبه وقبوله لتوبته فإن معنى ذلك أن التوبة قد أحدثت أثرها السيكولوجي أو النفسي المطلوب بحيث تنعكس آثارها النفسية على سلوك هذا الفرد الذى يبدأ حياته، وكأنه ولد ميلادا جديدا. إنه الأمل والرجاء فى الله سبحانه وتعالى اللذان يسبغهما الله على الإنسان ويمكنه بهما من الاستعلاء بنفسه ونفسيته إلى أعلى مراتب الصفاء بالاستقامة وقوة الصلة بالله والرباط الفكرى النفسى بالله. ولذلك يفتح الله أبوابا كثيرة على الناس ليغيروا ما بأنفسهم بالتوبة التى يقبلها الله وهى التوبة النصوح التى وردت شروطها فى السنة النبوية. ومن تلك الأبواب: ما بين الصلاة والصلاة كفارة لما بينهما. . وما بين الجعمة والجمعة كفارة لما بينهما . . . وما بين العمرة والعمرة كفارة لما بينهما. . . والحج وموقف عرفات يكفران الذنوب جميعا ويرجعان الإنسان بعد موقف عرفات وتمام الحج كيوم ولدته أمه. . . كل ذلك يشير إلى الآثار السيكولوجية التى تتركها التوبة حين تتغير نفسية الإنسان ويتغير فكره ويلقى عقله الباطن عن كاهله آثار الخطأ أو الذنب النفسية. التغيير السيكولوجى أساسه الصلة بالله والإيمان بالله والإيمان بأنه تواب رحيم يغفر الذنوب جميعا. إن التائب إنسان آخر جديد، إنسان أفضل لأن سيئاته تبدل حسنات متى انعكست التوبة على سلوكه بالاستقامة والعمل فى مجالات الخير والصلاح. إن النفس وبواطن العقل أو الفكر هما محل نظر الله، ولذلك فإن التوبة غير الصادقة لا تحدث أى أثر سيكولوجى أو نفسى، ومن هنا كان معنى عدم قبول الله لها. فالذين يتوبون خداعا عند اقتراب لحظة موتهم إنما يخدعون أنفسهم فى الحقيقة، فتوبتهم ليست توبة صادقة، وهى لا تقبل من الله كما أنها لا تحدث أى أثر نفسى حقيقى فضلا عن أنها لا يمكن تنعكس على السلوك لأن الموت

ينهى السلوك. وكذلك الذين يموتون وهم كفار أو مشركون أولئك من أكثر الناس عنادا فى الفكر، وسلوكهم ينبع من هذه النفسية المعاندة الجاحدة وأكثرهم شرا المنافقون الذين هم فى الدرك الأسفل من النار أى العذاب بالإيلامين النفسى والجسدى معا، وهو عذاب جهنم. ومن الناس من يسرف على نفسه حين يخطئ أو يذنب، ويترك هذا الإسراف آثارا من الندم المستمر والقنوط من رحمة الله واليأس من الحياة الذى ربما كان له أثره السلبى والسيئ على الشخصية وعلى السلوك. ومن هنا قرر القرآن لمثل هؤلاء الناس **﴿قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾** الزمر/ ٥٣. هذا التقرير الذى يحمل الأمل والسعادة إلى أولئك الذين وصفنا بعض حالهم من الإسراف على أنفسهم وضيقهم بالحياة وضيق الحياة عليهم. إن غفران الله للذنوب جميعا يفتح باب الأمل والسعادة النفسية ويعمل على بناء الشخصية التى اكتوت بالذنب والمعصية إلى درجة الإسراف فى لوم النفس بدرجة مؤذية، وبناؤها بناء تستقيم معه هذه الشخصية وتتوازن فى نفسها، وفى فكرها وفى سلوكها فى الواقع الاجتماعى حتى تصير من جديد عنصرا إيجابيا بناء يساهم فى دفع عجلة الحياة البناءة فى المجتمع الذى ينتسب إليه الإنسان صاحب هذه النفس، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن القرآن اهتم اهتماما بالغا بموضوع النفس الإنسانية أى التركيب النفسى للإنسان أو سيكولوجية الإنسان، وكثير من آيات القرآن الكريم تتناول بطريق مباشر أو غير مباشر هذا التركيب النفسى فى الإنسان الذى يتصل على نحو ما بتركيبه الفسيولوجى الذى يعتبر الجهاز العصبى والمخ فيه أساسا حجر الزاوية باعتباره الجهاز الذى يتلقى من مصادر الطاقة ما يجعله مستعدا لتأدية وظيفة العقل التى تستمد قوتها على النشاط من طاقة لا نعرف عنها شيئا أو لا نعرف عنها إلا القليل تلك التى سماها القرآن

«الروح» وهى سر من أسرار النفخة الربانية المتصلة بالهيكل المسوى للإنسان على نحو ما بين لنا القرآن فى تقريره ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي...﴾ الحجر/ ٣٩.

وحتى عذاب النار فيه جانب نفسى كما ذكرنا من قبل، ذلك أن النفس كما تعذب فى الدنيا، والصحو أو النوم، فإنها تعذب فى البرزخ وتعذب يوم القيامة ﴿نار الله الموقدة .التى تطلع على الأفئدة﴾ الهمزة/ ٦-٧، وهى موصدة على النفس لا تستطيع الأخيرة منها فرارا أو حراكا أو نجاة أعاذنا الله منها. وصفاء جوهر النفس هو أساس الدين وأساس الصلة القوية بالله رب العالمين وعلى عكس أصحاب النار من ذوى النفوس المملوءة بنوازع الشر والإضرار بالغير، فإن أصحاب الجنة هم الذين يصف القرآن حالتهم النفسية فى قوله ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾ الحجر/ ٤٧. وسلوكهم يومئذ﴿لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما. إلا قيلا سلاما سلاما﴾ الواقعة/ ٢٥- ٢٦.

التفكر فى أمر الساعة

والقرآن يريد منا أن نظل على ذكر دائم بأمر الساعة . أو باليوم الآخر . لأن ذلك التذكر له أثر سيكولوجى بالغ الأهمية فى سلوكى الإنسان الفردى والاجتماعى ، كما أن له أثرا بالغ الأهمية على سلوك المجتمعات والشعوب فى صلتها ببعضها البعض فى الحياة الدنيا . فكل خير - بالمعنى الواسع الشامل للخير - يمكن أن يعود على الإنسان أو على الإنسانية إذا كانت فكرة الساعة وفكرة اليوم الآخر غير غائبتين عن الفكر والذهن الإنسانيين . وعلى العكس من ذلك فكل شر - بالمعنى الواسع الشامل للشر - يمكن أن يعود على الإنسان وعلى الإنسانية إذا كانت فكرة الساعة واليوم الآخر غائبة عن الفكر والذهن الإنسانيين . ذلك أن فكرة الساعة واليوم الآخر فكرة يتصل بها مستقبل الإنسان فى استمرارية الوجود فى خلود ، ذلك المستقبل الذى يتصل اتصالا وثيقا بحقيقة الحساب وما يعقبه من ثواب وعقاب أى نعيم وعذاب ، والحساب يعنى المسئولية ، والمسئولية تؤدى بالإنسان إلى مراقبة المالك لذلك اليوم الذى يحاسب فيه كل إنسان ، وهى مراقبة تؤدى بالإنسان إلى أن يكون مستيقظ الضمير يزن أموره فى سلوكه ومعاملته فى الدنيا بميزان بالغ الدقة وسطا بين خوف من الألم والعذاب وبين اطمئنان وأمان بلذة ونعيم . وكلاهما وضحه القرآن بصورة تتجاوب معها طبيعة الإنسان الذى خلق عليها ، وهى طبيعة الخوف من جانب وطبيعة الأمن والطمأنينة من جانب آخر وهما عاملان

سيكولوجيان من أهم عناصر التركيب النفسى المتصلة بالوعى الإنسانى من خلال عمل المخ ووظيفته العقلية . ولذلك يقرر القرآن فى سورة طه ﴿إن الساعة آتيه أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ فالساعة أمر حق وأمر آت لا ريب فيه ، ويوم تأتى الساعة يأتى معها الحساب على الأعمال التى تمت فى الحياة الدنيا ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ ومن هنا كان الإيمان بها والتذكر الدائم المستمر لها ولمشاهدها ومواقفها أمراً ضروريا لخير الإنسان ذاته ذلك الخير الذى يتمثل فى النعيم الدائم فى حياة الإنسان الخالدة التى تكتسب قيمتها العليا من هذا الخلود ـ بعكس القيمة الضئيلة للحياة الأولى التى يصفها بالقرآن الدنيا ـ بحيث إن عدم الإيمان بالساعة والحساب ، وبالتالى إهمال أو نسيان هذا الأمر من جانب الإنسان يؤدى إلى وقوع الشر فى الأرض أو يؤدى إلى ما يصفه القرآن بالتردى فتردى طه . وهو يعنى الهبوط إلى مستوى يكون فيه التوجيه للإنسان هوائيا بما لا يلتزم بقانون أو هدى ربانى المصدر يضع الضوابط ويقيم الموازين القسط لحياة البشر . وحين يرتكن الإنسان إلى هواه فإن دوافع كثيرة ومختلفة قد تؤدى به إلى مجانبة الحق والخير والمصلحة والنفع ، ويفقد الإنسان عندئذ صلته بالموجه الأعظم ، وهو الإله الذى تظهر توجيهاته فى رسالته السماوية الموحى بها إلى المختارين من الناس أنبياء ورسلا . ويكون الموجه للإنسان عندئذ هو هواه الذى يخضع له ويكون بذلك معبوده وإلهه ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ الجاثية/ ٢٣ . بمعنى أنه يكون الخاضع لهواه على جانب كبير من المعرفة والعلم وهو أحد المعانى التى تشملها الآية . وتتفاوت مراتب الخضوع للهوى حتى تصل إلى عدم الإيمان والكفر ـ الجحود ـ بالإله الحق الذى خلق الخلق وخلق الإنسان .

إخفاء أمر الساعة

والذين يعتقدون أن الساعة غير آتية لا يضرون الله شيئا فى حقيقة الأمر وإنما يضرون أنفسهم. فالتكذيب بحدوث الساعة لا يغير من حقيقة الأمر شيئا الحقيقة التى مفادها أن الساعة آتية لا ريب فيها. فالخاسرون هنا هم الذين لا يعملون للساعة حسابها . . . وهم يخسرون شيئا غاليا ونفيسا . . . يخسرون أنفسهم . . . ويخسرون بذلك الدنيا والآخرة. . أما الدنيا فلأنهم لا يراقبون الله تبارك وتعالى فى تصرفاتهم وأنماط سلوكهم، وبالتالى لا تثقل أو تنعدم الموازين الحق التى تفرضها قيم وأخلاقيات الدين وتأتى أنماط سلوكهم من واقع المصلحة الفردية الأنانية، وهذه قصيرة المدى مهما طال عمر أصحابها، وأما الآخرة فلأنهم خرجوا من دائرة المؤمنين بالله واليوم الآخر ولم يلتزموا بالتعاليم والأحكام التى يفرضها الدين يحكم بها أنماط عقائد وسلوك الأفراد. . فالله تبارك وتعالى لا يخسر شيئا فهو لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة لأنه غنى عن الخلق وعن العالمين. . وكان الأجدى بالذين لا يؤمنون أن يفكروا فى أمر الرسول الخاتم ورسالته الخاتمة ليتبين لهم الحق فيما جاء به هذا الرسول من كلام الله تعالى المقروء قرآنا والمكتوب كتابا، وهو يوضح حقائق الكون وحقائق الأرض وحقائق تاريخ البشر وحاضرهم ومستقبلهم فى هذه الأرض والأجواء المحيطة بها وتوابع هذه الأرض . . فيتبين لهم بتطابق آيات القرآن وحقائق الوجود والكائنات، أنه الحق

فتخبت له قلوبهم أى عقولهم. ولكن . . . الإنسان الذى أعطاه الله حرية الاختيار وكرّمه بسبب هذه القدرة على الاختيار والتصرف الإرادى الحر، هو الذى يجعل حياته فى مستقبله الأخروى الخالد جحيما ونارا وعذابا . . . كما أنه هو الذى يمكنه أن يجعل حياته فى مستقبله الأخروى الخالد جنة ونعيما مقيما . . والله تبارك وتعالى يعلم أن الإنسانية تنقسم قسمين فى الحياة الآخرة، قسم يعيش فى العذاب الدائم الذى تمثله نار جهنم وقسم يعيش فى النعيم الدائم الذى تمثله جنات الخلد. وهذه مقتضيات الشر بدوره الإبليسى أو الشيطانى وتلك مقتضيات الخير بدوره العقلى الإيمانى. وعلم الله تبارك وتعالى الذى يحيط بكل شىء حيطة كلية شاملة بما نراه نحن البشر فى حدود قدراتنا العقلية من الماضى والحاضر والمستقبل، وهو - أى الله سبحانه وتعالى - قد علم منذ الأزل أن البشر منهم من يؤمن ومنهم من يكفر، وذلك انعكاس لفكرتى الخير والطاعة والشر والمعصية تقابلهما الجنة ونعيمها والنار وعذابها. وقد شرع التوبة لعباده من البشر حتى يعطى الفرصة للنجاة لمن هداه إيمانه بالفكرة والعقل والمنطق السليم، هداه أيمانه إلى سبيل الرشد بعد تجربة سبيل الغى، وفرصة النجاة من العذاب فرصة يعطيها الله لكل عبد من العباد من منطلق الرحمة الإلهية حتى ينجو الفرد التائب من أهوال الحياة فى عذابى النار النفسى الجسمانى اللذين يصعب تصور مداهما وإن كان يسهل تصور حقيقتهما من خلال التجارب الفردية للآلام النفسية والجسمانية من الضيق والحريق، ومن هنا كان إصرار الرسول ﷺ على إتمام إبلاغ رسالته ليهلك من هلك عن بينة وينجو من ينجو عن بينة، ليعطى الفرصة لكل إنسان أن يفهم حقيقة مراد الله له فى الدنيا من التمسك بأحكام وقيم الدين والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وكانت كل حياة الرسول فى فترة الإبلاغ عبارة عن تبشير وإنذار،

كلاهما يعمل من منطلق ودوافع الرحمة والرأفة والشفقة بالناس ليجنب كل فرد يؤمن بالدين نفسه عواقب عدم الإيمان التى لا طاقة لإنسان على تحملها، والله تبارك وتعالى لا يهمه قدر أنملة أن يعذب فرد من الناس كما أنه لا يزيده فى ذاته شيئا أن يتم هذا العذاب لفرد من الناس، وإنما الأمر كما سبق أن قلنا يبدأ من الفرد نفسه وينتهى إلى الفرد نفسه. هو - أى الفرد - الذى يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله فينجو بهذه النفس من حالة العذاب النارى الذى يحيط بالنفس والجسد معا... وهو - أى الفرد - الذى يخسر نفسه وينتهى بها إلى حالة العذاب النارى الذى يحيط بالنفس والجسد معا.. الإنسان.. الإنسان.. الإنسان.. هو شيطان نفسه وهو ملك نفسه.. هو الذى يخسر نفسه وهو الذى يكسب نفسه.. هو الذى يتألم بالعذاب وهو الذى يتلذذ بالنعيم.. وله حينئذ، هنا فى الدنيا، أن يختار.. وهو يملك حرية الاختيار فى شأن نفسه وفى شأن غيره.. فأى طريق يشير العقل والرشد إلى اتباعه؟ الطريق واضح للعقلاء.. وكلام الله واضح للعقلاء.. وآيات الله جلية للعقلاء.. والحق ظاهر للعقلاء.. والدين يخاطب العقلاء.. ومبادئه تهدى العقلاء.. ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾.

لقد جاء النبى الخاتم منذرا من يوم القيامة. وقد أفاض القرآن فى تأكيد هذا الجانب من جوانب الرسالة بالضبط، كما أفاض من جانب البشارة. فيقرر القرآن - على سبيل المثال - فى جمع الرسول للجانبين من جوانب الرسالة:

١- ﴿قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾ (المائدة ١٩).

٢- ﴿يأيها النبى إنا أسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا..﴾ (الأحزاب٤٥).

٣- ﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾. (الأعراف١٨٤).

٤- ﴿واخفض جناحك للمؤمنين وقل إنى أنا النذير المبين﴾. (الحجر٨٩).

وكذلك ورد مثل ذلك فى سور الحج والشعراء والقصص والعنكبوت والسجدة وسبأ وفاطر وص والأحقاف والذاريات والإسراء والفرقان والأحزاب.. إلى آخر السور القرآنية الأخرى التى وضحت جليا صفة الإنذار فى رسالة النبى الخاتم.

ولم يكن الرسول الخاتم بدعا من الرسل فى هذا الجانب الإنذارى، فجميع الأنبياء السابقين كانوا منذرين. فهذا الجانب من جانب الرسالات أساسى فيها حتى تتحقق العدالة الإلهية دون أدنى ظلم يصيب أحدا من الناس، ولذلك يقرر القرآن ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ الإسراء١٥. ويوضح القرآن جانب الإنذار هذا من الرسالات التى سبقت الرسالة الأخيرة فى تقريرات مثل:

﴿... يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ الأنعام١٣٠.

﴿... يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ الزمر٧١.

ومن هنا كانت حقيقة اليوم الآخر وحقيقة الحساب وحقيقة الجزاء بالثواب والعقاب، من الحقائق التى اجتمعت على بيانها وتأكيدها الرسالات كلها وعملت على ترسيخ أبعادها الرسالة الأخيرة التى اتصفت بالاستمرارية والشمول حتى تقوم الساعة التى جاء ينذر وقوعها الأنبياء السابقون وجاء ينذر بين يدى عذابها الأليم النبى الخاتم. والقرآن

يشير إلى أمر عظيم جاء النبى ينذر من عواقبه، ذلك الأمر العظيم هو يوم القيامة ﴿وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه﴾ الشورى٧. ويوضح القرآن جوانب من مشاهد ذلك اليوم فى كثير من تقريراته، ولكنها تؤكد العذاب الشديد الذى يلحق بطوائف من البشر والجن فى ذلك اليوم فيما يوضحه القرآن من أمر النار أو جهنم وما يحيط بها من عذاب جسدى وعذاب نفسى يطول أو يقصر حسب مشيئة الله، وقوامه فى الأساس عمل كل إنسان فى الحياة الدنيا التى هى حياة الاختبار والعمل والكد الذى يمتحن فيه الناس ليلاقوا جزاءهم فى الحياة الآخرة على ماقدموه فى الحياة الدنيا ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى...﴾ طه١٥.

وجانب الإنذار والبشارة فى مهمة الرسول الإبلاغية ذو صلة وثيقة بعنصر الحرية الذى يتمتع به كل إنسان. وكل إنسان من حقه أن يكون حرا فى الاختيار الفكرى لعقيدته ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ فالذى يبشر وينذر إنما يتخاطب مع إنسان حر عاقل يملك إرادة الاستجابة عن حرية، كما يملك إرادة الإعراض عن حرية. ومهمة الرسول هى التذكير. التذكير عملية متصلة بعقل الإنسان وقدرته على التفكير الحر والتمييز الحر لمضمون الذكر. والقرآن يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم مقررا ﴿فذكر إنما أنت مذكر .لست عليهم بمصيطر﴾ الغاشية / ٢١-٢٢. ومن هنا كان القرآن مقررا لحرية الإنسان الفكرية حتى فى المسائل المصيرية الخطيرة المتصلة بمستقبل الإنسان فى حياته الآخرة، وحتى فى وضعه كإنسان حر كريم فى حياته الدنيا. قرر القرآن ذلك فى أوضح عبارة حين ذكر أنه ﴿لا إكراه فى الدين﴾ البقرة ٢٥٦. وهو نفس أسلوب الرسول فى الدعوة، أسلوب مبنى على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن. ومن هنا كان دور القرآن ذاته ككتاب هداية، مهمته هى نفس مهمة الرسول التذكيرية ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ ق/ ٤٥.

وكانت عظمة التذكير المحمدى نابعة من عظمة القرآن ذاته باعتباره كتابا جامعا للحق، وهاديا إلى الحق ومنزلا من الحق. جاء القرآن شاملا لكل ما يتصل بالإنسان واضعا أحيانا التفاصيل، وواضعا أحيانا القواعد العامة بحيث يستمر إعجازه فى مواكبة لترقى الفكر الإنسانى المستمر الذى يستطيع أن يجد فى كل عصر - مهما بلغ مستوياه الفكرى والعلمى - مبتغاه وهدايته فى هذا الكتاب. وكان من الطبيعى إذن والأمر كذلك بالنسبة للتذكير الذى يواجه به الإنسان الحر الكريم، أن يبين القرآن أمر الساعة وأمر اليوم الآخر وأمر يوم القيامة، ثم أمر العذاب والنعيم أو العقاب والثواب - أى الجزاء - فيما بينه من أمر الجنة أو الجنات وأمر النار أو جهنم. وجاء البيان - كما سبق أن ذكرنا - ميسرا للذكر الإنسانى، بيانا مقربا إلى عقل الإنسان حتى يستطيع أن يدرك أن يتصور أو يتخيل فكرة ومقدار العذاب وفكرة ومقدار النعيم فى النار والجنة. والإنسان المبصر يعرف أن النور والظلمات لايستويان، لأنهما ضدان أو نقيضان. والإنسان غير المبصر لا يستطيع أن يميز بين حقيقة النور وحقيقة الظلمة. والقرآن نور كما نعرف، وهو فرقان بين النور والظلمات، ولكن ليس كل إنسان يرى ويبصر فرقان القرآن. ولذلك فإنها لا تعمى الأبصار فى الحقيقة ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور، وقد وصف القران ذاته أفرادا من بنى البشر لا يرون الحق فيه بأنهم صم بكم عمى، أو أنهم كالأنعام بل هم أضل. فالقرآن هدى لأفراد من بنى الإنسان، بينما أفراد آخرون لا يرون فيه هدى. وربما كانت هذه سنة الحياة المتصلة فى النهاية بمشيئة الله سبحانه وتعالى. فهناك فريق من الناس يدخلون الجنة وفريق من الناس يدخلون النار، أى هناك منعمون وهناك معذبون، أو هناك سعداء و أشقياء. فالقرآن لا ريب فيه. وهو هدى للمتقين ﴿... الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما

أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ البقرة / ٣ ـ ٥ . ولكنه أيضا وبال على غير المؤمنين ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾ البقرة/ ٦ ـ٧ . والمسألة متصلة بنوعية كل إنسان فرد على حدة وبتركيبه الفكرى والتأثير البيئى والوراثى عليه، ولكن الإنسان لا يعذر لأن الله وهبه عقلا يفكر بحرية نابعة من إرادته المستقلة يستطيع بواسطته أن يميز بين الخطأ والصواب وبين الباطل والحق وبين الضار والنافع . ولذلك يقرر القرآن ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ الأنعام١٣٠ . فمن أعرض عن الذكر فى الحياة الدنيا واختار غير طريق الدين الحق فإن القرآن يقرر فى شأنه : ﴿... ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم﴾ النساء١٥ . كما يقرر فى شأنه أيضا : ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا﴾ طه١٢٤ . أما الذى استجاب للذكر فى الحياة الدنيا، واختار طريق الحق فإن القرآن يقرر فى شأنه ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا. خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ الكهف١٠٧ ـ١٠٨ . والناس يوم القيامة أصناف ثلاثة كما أوضحت لنا سورة الواقعة :

١- السابقون المقربون. وهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين.

٢- أصحاب اليمين. وهم ثلة من الأولين وثلة من الآخرين.

٣- أصحاب الشمال. وهم بقية الناس من غير أولئك وهؤلاء. .

وقد فصلت سورة الواقعة مقام كل صنف من هؤلاء الأصناف الثلاثة من البشر يوم القيامة فذكرت : ﴿فأما إن كان من المقربين. فروح وريحان

وجنة نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين. فسلام لك من أصحاب اليمين. وأما إن كان من المكذبين الضالين. فنزل من حميم. وتصلية جحيم. إن هذا لهو حق اليقين. فسبح باسم ربك العظيم﴾ الواقعة٨٨-٩٦.



المحتويات

كتب للمؤلف

رقم الإيداع ١٨٦٢٠/٩٨

الترقيم الدولى . I.S.B.N. 977 - 09 - 0421 - X

مطابع الشروق

القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى - ت ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت ص ب: ٨٠٦٤-هاتف : ٣١٥٨٥٩-٨١٧٢١٣-فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)



